الإله الخالق...

ورسالة خاتم أنبيائه ورسله محمدﷺ...

شواهد ودلائل وبراهين

على وجود الله تعالى ووحدانيته

ومعجزات وآيات كونية

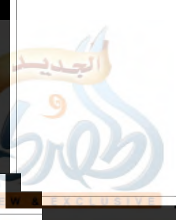
كلها تشهد

برسالة هذا الرسول الأمين

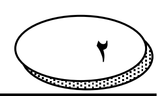
وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين

إعداد

محمد السيد محمد







مقدمة

الحمد لله رب العالمين، فاطر السماوات والأرض، جاعل الظلمات والنور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك على محمد النبي خاتم الأنبياء والمرسلين، وصل اللهم وسلم وبارك على أزواجه وآل بيته الأخيار الأطهار وأصحابه الكرام، ومن اهتدى بهديه، واستن بسنته، واقتفى أثره ﷺ إلى يوم الدين.

أما بعد:

نعجب جميعًا مِمَّن تجرأ على الله تعالى، وأنكر وجوده، بل وصار مبارزًا ومُحاربًا له جل وعلا بدعوته إلى مثل ذلك الاعتقاد الفاسد والفلسفة المُنكرة، بل وصار طاغيةً مُتغطرسًا، إلى أن عذَّب شَعْبَه وأنهكهم جوعًا، إلى أن أكل بعضهم بعضًا، حيث انتشرت سرقة الصغار من الأطفال لأكلهم جوعًا، وحَصَد الملايين منهم قتلًا من أجل إفساد اعترافهم بخالقهم، وإجبارهم على إنكار وجوده، كما حدث في الاتحاد السوفيتي -سابقًا- ومن ناظرها من الدول الشيوعية وغيرها.

ولو نظر ذلك الجاحد المتغطرس في نفسه لعلم ضعفه وحقارته، وافتقاره إلى خالقه ونعمه عليه، لا سيما وقت حاجته ومرضه.

ونعجب مِمَّن قد استجاب له ورحَّب بما افتراه زورًا وبهتانًا، وذلك إمَّا لفساد قلبه وعقله، وإما جحودًا واتباعًا لأهوائه وشهواته، متناسيًا أو مُتغافلًا لمماته وانتهاء حياته، وما يلقاه بعد موته من سوء المصير والمُنقلب، وسوء الحساب والعقاب، وندمه على تفريطه في جنب إلهه وخالقه.

ونعجب أكثر مِمَّن قد يُعْرض عليه الحق -الإسلام- والأدلة البينة عليه، فيُعْرِض عن سماعه وقبوله؛ لما قد ملأ قلبه من حبٍّ للشهوات واتباعٍ للهوى، وعدم استعدادٍ لتلقي الحق وقبوله.





ومثال ذلك: دولة مثل كوريا الشمالية، فنجد أنها لا تقبل إلا الشيوعية؛ حيث لا تعترف بوجود إله خالق، فلا تسمح لدعوة الحق –الإسلام– أن تصل إلى شعبها.

ولذلك...

فإنه ينبغي، بل يتوجَّب علينا الاستعانة بالله سبحانه وتعالى على أن نجتهد أكثر وأكثر في دعوة العباد إلى الله تعالى، والإيمان به وبوحدانيته، وعظيم ذاته جل وعلا، وجميل صفاته وكمالها، دون أن يُنسب إليها ما يَذُمُّها ويعيبها –كما في غير الإسلام– وذلك يعني –بمفهوم أشمل– الدعوة إلى الإسلام وإلى التصديق بمن أرسله الله تبارك وتعالى داعيا وهاديا إليه ، خاتما به أنبيائه ورسله إلى يوم الدين ، وهو النبي الأمين محمدﷺ

فالله سبحانه وتعالى يدافع عن أنبيائه، ويحافظ على مكانتهم بين الخلائق، سواء كان ذلك في حياتهم أو بعد مماتهم، ولقد اختص الله عز وجل محمدًا ﷺ (النبي الخاتم) بالقدر الأكبر من الحماية؛ نظرًا للاضطهاد الشديد الذي لاقاه أثناء دعوته ﷺ للدين الإسلامي، وكذلك نظرًا للافتراءات والاتهامات التي تصدر كل حين من كل فئة ضالة مضلة؛ للنيل من عقيدة الإسلام التي جعلها الله سبحانه وتعالى هي العقيدة الصحيحة لجميع البشر، فكانت حماية الله عز وجل لمحمد ﷺ عكس أهواء الحاقدين، وضد مصالحهم الشخصية.

ولقد عظم الله عز وجل من شأن رسوله محمد ﷺ خاتم المرسلين، ورفعه فوق البشر جميعًا؛ لما أكرمه وحباه، واختصه بصفات قيادية وأخلاقية وسلوكية لا يمكن أن تتحقق لإنسان آخر.

ولذا، فإن هذا البحث اليسير يتضمن:

– أدلة قاطعة وبراهين دامغة – متنوعة– على وجود الإله الخالق لهذا الكون، والخالق لكل شيء وثبوت وحدانيته وعظيم صفاته وأفعاله.

– صفات الإله الخالق عند المسلمين، وعظيم تمجيدهم وتنزيههم له سبحانه وتعالى.

– أدلة علمية ثابتة شاهدة على طلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى، وإن عجز العقل البشري عن استيعابها.





– وجوب الإيمان بأنبياء الله ورسله من منطلق الإيمان بالله تعالى، وعظيم صفاته وكمال حكمته.

– الإيمان بالكتب السماوية.

– وجوب الإيمان بغيبيات أخرى من منطلق الإيمان بالله تعالى والإيمان بأنبيائه ورسله والكتب السماوية التى أنزلها الله تعالى عليهم.

– الإيمان بالملائكة.

– الإيمان بالقدر.

– الإيمان باليوم الآخر.

– أين الهداية؟؟

– أدلة قاطعة على أن الهداية فيما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ.

– رسالة خاتم أنبياء الله تعالى ورسله محمدﷺ.

–شواهد وآيات وبراهين ومعجزات –بما فيها من إعجاز علمي– تشهد لهذا الرسول الخاتم محمدﷺ بالرسالة.

والتي كانت سببًا في شهادة عباقرة المفكرين لرسول الله ﷺ، وسببًا في شهادة علماء الغرب برسالته ﷺ، لما تحقق لديهم من صدق القرآن الكريم (الذى أنزله الله تبارك وتعالى على نبيه محمدﷺ هداية للعالمين) والأحاديث النبوية الشريفة (التى تحدث بها النبى محمدﷺ) بعدما تم اكتشاف الكثير والكثير من الحقائق العلمية الحديثة، والتي أشار إليها القرآن الكريم، وأشارت إليها الأحاديث النبوية الشريفة بدقة بالغة، وبوصف كامل منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، والتي لم يكن يعلم أي من هذه الحقائق العلمية أحد، فثبت لديهم أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، وأن محمدًا ﷺ الذي يصرح بتصريحات علمية مذهلة هو رسول من عند الله سبحانه وتعالى

– نماذج من أقوال واعترافات وتصريحات هؤلاء المفكرين والعلماء الذين شهدوا لمحمد ﷺ بالرسالة.





- نماذج من قصص إسلام الكثير ممن شهد لهذا النبى محمدﷺ بالرسالة.

- أدلة قاطعة على أن رسالة النبي محمدﷺ هي الرسالة الخاتمة، وأنه ليس بعد بعثة رسول الله محمد ﷺ أي نبي أو رسول آخر.

- صفات للفرقة الناجية (أهل سنة النبى محمدﷺ) ، من حيث التزامها بما كان عليه النبي محمد ﷺ وأصحابه.

- براهين دامغة على أن الدين الحق (الإسلام) هو العامل الرئيسي في انتشار السلام، والازدهار الاقتصادي والتقدم الحضاري، وأنه في حال غيابه يكون نقيض ما ذكرنا.

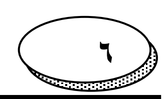
- حق الله تعالى على العباد، وحق العباد على الله تبارك وتعالى.

ثم يختم هذا البحث الموجز برسالة دعوية قصيرة.

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم أن يتقبل منا ومن الجميع صالح الأعمال، وأن يُنميها لنا سبحانه وتعالى.







هل للكون إله خالق؟!

نبذة عن منكري وجود الإله الخالق..

لقد كان الناس في القرون الماضية يعتقدون بوجود الإله الخالق، وظل الأمر كذلك حتى القرن الثامن عشر الميلادي تقريبًا، حيث صدر أول كتاب يصرح بالإلحاد وإنكار الألوهية في أوروبا عام ١٧٧٠م.

ونقول: إن مثل هؤلاء الذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى قد استهوتهم أنفسهم، وساروا تبعًا لأهوائهم وشهواتهم.

فلقد رأوا من عظيم آيات الله جل وعلا في الآفاق، وفي أنفسهم من إحكام ودقة في الخلق ما يشهد بوجوده، وأنه هو الخالق الحكيم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

ولكنهم آثروا الإنكار والجحود، مع يقينهم بوجود هذا الخالق العظيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

فكان ذلك الجحود والإنكار جَرَّاء كبرهم واستعلائهم، وسيطرة أهوائهم وشهواتهم على عقولهم وأفعالهم، فهم يعلمون تمامًا أنهم إذا ما آمنوا بهذا الإله الخالق العظيم، فلا يسعهم إلا الخضوع لسلطانه ونفوذه، والاتباع لأنبيائه ورسله، وأن لا تحاكم إلا إليه سبحانه وتعالى، وفقًا لما أنزل في كتبه السماوية على أنبيائه ورسله، وأن يسود شرعه سبحانه وتعالى...

ولِمَ لا؟! وهو الإله الخالق، الذي له كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، فالله سبحانه وتعالى له الأمر كله، وإليه يُرجع الأمر كله، فله جل وعلا أن يأمر بما شاء، وأن ينهى عما شاء، فهل لعبد مملوك إلا الطاعة لسيده مهما بلغ وعظم أمره أو نهيه؟!

فالعبد ليس له من الأمر شيء، فهو مملوك لسيده، حيث يأمره سيده بما شاء، وينهاه عما شاء، كيفما شاء، ووقت ما يريد، وذلك مثال ما في الواقع، ولكن الله سبحانه وتعالى له المثل الأعلى، فليس كمثله شيء، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى ومَنِّه وفَضله، أنه جل وعلا لم





يأمر ولم يُكلِّف عباده بما لا تطيقه النفس البشرية السوية، وإن كان جل وعلا له أن يأمر وأن يُكلِّف بما شاء، وأن ينهى عما شاء، فالله عز وجل لا يُسأل عن ما يفعل، ولكنه سبحانه وتعالى هو الذي سوف يسأل عباده ويحاسبهم في يوم تُبعث فيه الخلائق للفصل والقضاء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى وعظيم فضله أنه جل وعلا خلق الجنة بما فيها من نعيم دائم مُقيم، وأعدها لعباده المؤمنين الصالحين الذين أطاعوه في حياتهم الدنيا وامتثلوا لأوامره، مجتنبين نواهيه، حيث خضعت قلوبهم وعقولهم وجوارحهم لله سبحانه وتعالى، ولنفوذه وسلطانه عليهم.

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى: أنه تبارك وتعالى كتب على نفسه الرحمة، وأن رحمته سبقت غضبه جل شأنه، فله سبحانه وتعالى أن يغفر لمن يشاء وأن يرحم من يشاء من عباده، فضلًا ومِنَّة مِنه تبارك وتعالى على عباده، وهو سبحانه وتعالى أعلم بمن يستحق هذه المغفرة والرحمة من عباده، وهم عباده المؤمنون.

ومن عدل الله جل وعلا: أن خلق النار بما فيها من عذاب أليم مهين، دائم مقيم لمن كفر به، وأنكر آياته وجحد وجوده.

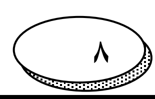
وأيضًا فقد خلق الله تعالى النار بما فيها من عذاب أليم لمن خالف أوامره وانتهك حدوده ونواهيه عن علم وقصد.

فهؤلاء الملحدون المنكرون لوجود الله عز وجل قد آثروا دنياهم الفانية على آخرتهم الباقية، واهمين أنفسهم، مُتعَلِّلين بما لا تقبله الفطرة السليمة السوية من استدلالات وهمية تخمينية، ليس لها قيمة أو وزن، وما هي إلا ظنون وأكاذيب لا يُعتدُّ بها.

فالملحدون والمنكرون لوجود الله عز وجل يعتمدون في دعواهم الباطلة على الفلسفيات التي لا صلة لها بالواقع، حيث يبحثون في عالم لا وجود له في الخارج، وإنما







وجوده في الذهن فقط، فقد سَلَّموا بمقدمات عقلية ظنوها صحيحة، وهي فاسدة، ونذكر تشبيهًا بسيطًا يوضح مدى اختلاف المقاييس:

إننا إذا ما نظرنا إلى حائط به عيب ما، وقال أحد الناظرين بعقله: إن العيب لا يقع على الشيء المصنوع، وإنما يقع على الصانع، ولم يأخذ في حسبانه العوامل

الأخرى غير المرئية، والتي قد تكون سببًا في مثل ذلك العيب، بعيدًا عن الصانع، كالرطوبة، وغير ذلك، فهل يمكن قبول مثل ذلك الادّعاء؟؟ بالطبع:لا.

نبذة عن فكر ودعوى منكري وجود الإله الخالق وبطلانها:

يزعم الملحدون والمنكرون لوجود الإله الخالق أن الدين لا حقيقة له، وأنه مظهر للغريزة الإنسانية، وأن كل ما يحدث في الكون من الأرض إلى السماء خاضع لقانون معلوم يسمى بـ "قانون الطبيعة" وكانوا بداءة قد قالوا بوجود الإله الذي كان في البداية هو المُحرك الأول لهذا الكون، ثم ما لبث أن تركه وشأنه، فلا صلة له به، ولا صلة له بما يحويه هذا الكون من مخلوقات حية أو غير حية، موافقين بذلك قول المشركين من

قبل الذين أنكروا بعث الإنسان بعد موته للحساب والجزاء، فقالوا: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع.

ثم قام زعماء الإلحاد ومنكري الألوهية بضرب مثالٍ في هذا الصدد، حيث قال (والتير): «إن الكون كالساعة يرتب صانعها آلاتها الدقيقة في هيئة خاصة ويحركها، ثم تنقطع صلته بها..» على حد قوله.

ثم جاء بعده مَن أنكر وجود الإله من البداية، حيث لم يرتضِ كبره وغروره بأن يثبت مُجرد الإثبات، لذلك الإله، وإن كان دوره ليس إلا في بدء الخلق فقط.

فجاء (هيوم) منقادًا لأهوائه وشهواته، فتخلص من ذلك الإله الميت الذي لم يَعُد له صلة بهذا الكون منذ بدء الخلق، فقال:

«لقد رأينا الساعات وهي تُصنع في المصانع، ولكننا لم نر الكون وهو يُصنع، فكيف نسلم بأن له صانعًا؟!» على حد قوله وزعمه.





فأصبح ذلك القول سائدًا ومسيطرًا على عقولهم، بعد أن غُلِّقت على مثل تلك المفاهيم والمقاييس الخاطئة، والأوهام الخادعة التي لا قيمة ولا وزن بها، فعميت قلوبهم وبصيرتهم، مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ومن ثَمَّ بعد ما كان من إنكار هؤلاء الملحدين للألوهية والدين، مُتبعين أهواءهم وشهواتهم، مُسيطرًا عليهم الكبر والغرور، ما كان منهم إلا إنكار كل ما يَمَسُّ قضية الألوهية والدين بصلةٍ ما.

فأنكروا إرسال الرسل، ومِن ثَمَّ أنكروا الكتب السماوية التي أُنزلت عليهم متضمنة الأوامر والواجبات والتكاليف الشرعية، ومتضمنة الحدود والنواهي، والتعاليم السامية من الله تعالى هدايةً للبشر، وأنكروا كل ما جاء فيها من إخبار بالغيبيات سواءً كانت ماضية أو حاضرة أو مستقبلية.

ومن ثم أنكروا وجود الملائكة وغيرهم من المخلوقات غير المرئية.

ومن ثم أنكروا القضاء والقدر، وأن كل ما يحدث في الكون المرئي وغير المرئي بإرادة وعلمٍ من الله سبحانه وتعالى، وأن كل ذلك كان بتقدير مُسْبق من الله تعالى لحكمة يعلمها، فأنكروا كل ذلك، ولم يؤمنوا به.

ومن ثم أنكروا قضية البعث مرة أخرى من أجل الحساب والجزاء والحياة الأبدية، إما إلى جنة الله تبارك وتعالى ودار نعيمه إن كان مؤمنًا صالحًا، وإما إلى نار الله عز وجل وأليم عذابه إن كان كافرًا فاسقًا، فلم يؤمنوا بذلك كله.

ومن ثم أنكروا وجود جنة الله تبارك وتعالى ودار نعيمه ورضاه، وأنكروا وجود نار الله عز وجل ودار عذابه وسخطه، فلم يؤمنوا بأي من ذلك.

فهم دائما في تَخَبُّطٍ وتيه في دنياهم التي عُجِّلت لهم، حيث لا دين يدينون به، ولا إله يتعبدون ويتقربون إليه، وإن شئت قلت على الوجه الدقيق:

إنهم قد اتخذوا من أهوائهم وشهواتهم إلهًا يُعبد من دون الله جل وعلا، لانقيادهم خلفها واتباعهم لها، وتفضيلهم لدنياهم الفانية على الآخرة الباقية، وذلك مصداقًا لقول الله تعالى:



﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

ونوضح ما ذكرنا من فكر ودعوى منكري الألوهية في الآتي:

١- أن التصور العام الشائع بين الملحدين ومنكري الألوهية يفترض أنه لا واقع إلا الواقع المادي، وأن الحقائق إنما هي الحقائق المادية.

٢- أن الكون مُكتف بنفسه، غني عن أي شيء خارجي.

٣- أن المادة في ذاتها أزلية، وأنها قد تجمعت بمحض الصدفة؛ لتأخذ تلك الأشكال التي يتكون منها عالمنا هذا، بما فيه من حياة وعقل.

٤- يقولون إنه ينبغي أن يكون الاعتماد على العلم الطبيعي، لا على الدين في معرفة الحقائق.

وردًّا على مثل تلك الافتراءات والدعاوى الكاذبة الباطلة، نوضح أولا:

أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ للأمة الإسلامية الجهابذة من علماء السنة الذين قد بينوا زيف ما يقولونه وما يدَّعونه –الملحدون- عقلا ونقلا.

ومن الردود التي توضح عجز فكر ودعوى منكري الألوهية وبطلانها:

١- أن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون، وليست تفسيرًا له، فالدين يُبين لنا الأسباب والدوافع الحقيقية من خلق هذا الكون، وما اكتشف من اكتشافات علمية في مجال الطبيعة ما هو إلا الهيكل الظاهر للكون.

- فالعلم الحديث تفصيل لما يحدث، وليس بتفسير لهذا الأمر الواقع، ونذكر مثالًا على ذلك:

لقد كان الإنسان القديم يعرف أن السماء تمطر، وكان ينسب ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه جل شأنه هو الذي قدَّر وأذن للسماء بأن تُمطِر، فكل ما يحدث في الكون يكون وفقًا لمشيئته وإرادته سبحانه وتعالى.

ولكننا اليوم نعرف ما ينتج عن عملية تبخر الماء في البحر، حتى نزول قطرات على الأرض، وكل هذه المشاهدات صور للواقع.



فهل يعني ذلك: أن العلم قد كشف لنا كيف صارت هذه الوقائع قوانين؟! وكيف قامت هذه القوانين بين الأرض والسماء على هذه الصورة المذهلة حتى أن العلماء يستنبطون منها القوانين العلمية؟!

بالطبع: لا.

فالإنسان لم يكتشف سوى نظام الطبيعة.

وإذا ما ادَّعى الإنسان أن كشفه لنظام الطبيعة يُعَدُّ كشفًا لتفسير هذا الكون، فإن ذلك يكون ما هو إلى خُدْعة لنفسه.

فقد صار حتمًا علينا بعد هذه المشاهدات أن نؤمن بأن من وراء هذا النظام العتيق للكون الواسع الفسيح إله خالق عظيم.

مثال آخر:

إن الكون على حاله ليس إلا كمثل ماكينة تدور تحت غطائها، ولا نعلم عنها إلا أنها تدور، ولكننا إذا فتحنا غطاءها، فسوف نشاهد كيف ترتبط هذه الماكينة بدوائر وتروس كثيرة، يدور بعضها ببعض، ونشاهد حركاتها كلها.

فهل معنى ذلك: أننا قد علمنا خالق هذه الماكينة وصانعها بمجرد مشاهدتنا لما يدور داخلها؟ بالطبع: لا.

فهل يُفهم منطقيًّا أن مشاهدتنا لما يدور بداخل الماكينة أثبتت أن الماكينة جاءت من تلقاء ذاتها؟! وأنها تقوم بدورها ذاتيًّا؟!

بالطبع: لا.

فلا يصدر مثل ذلك القول من عاقل، بل من منكر جاحد.

إذن فكيف نُثبت بعد مشاهدة لبعض عمليات الكون أنه جاء تلقائيًّا، ويتحرك ذاتيًّا؟!

فلو أن هذه الاكتشافات العلمية لهذا الكون زادت مليون ضعف عنها اليوم أو أكثر، فلا يكون مثل ذلك إلا مشاهدة لبعض عمليات الكون، وليس إثباتًا لمجيئه أو تركه تلقائيًّا ذاتيًّا.

بل إن ذلك كله يدفعنا بقوة للإيمان برب هذا الكون وخالقه ومُبدعه على مثل هذا النظام الدقيق، والذي يستحيل أن يكون مجيئه مصادفة، كما يدعي الكاذبون المفترون.





٢- أن الكون ليس مُكتفٍ بنفسه أو غني عن أي شيء خارجه؛ لأنه قد ثبت لدينا عقلا ونقلا -من كلام الأنبياء والمرسلين والكتب السماوية- أن للكون خالق عظيم، ذو صفات مُغايرة (مختلفة) لصفات المخلوقين.

٣- ولما أشرنا سابقًا، يكون من المحال أن تكون المادة أزلية أو تكون قد تجمعت بمحض الصدفة؛ لتأخذ تلك الأشكال التي يتكون منها عالمنا من حياة وعقل.

٤- أن الحواس ليست طريقًا إلى معرفة كل ما يحتاج الناس إلى معرفته، فلا تناقض بين الاعتماد على الحس في معرفة ما من شأنه أن يُعرف بها، والاعتماد على العقل في معرفة ما لا يُعرف إلا به، فلا تقابل (تعارض) بين العلم الطبيعي والدين، بل إن الدين يعترف بالمنهج العلمي الطبيعي كوسيلة إلى المعرفة، ولكنه يقول: إنه (العلم الطبيعي) ليس وسيلة إلى كل المعارف.

فهناك معارف لا تدرك إلا بالرواية، وأخرى لا تُدرك إلا بالاستنتاج العقلي، وأخرى لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الأنبياء والرسل والكتب السماوية.

فالعاقل هو الذي يستفيد من كل هذه الوسائل بحسب نوع المعرفة التي يريدها.

نبذة عن الفلسفة الوهمية لأهل الإلحاد ومنكري الألوهية:

لقد سلَّم أهل الإلحاد ومنكري الألوهية بمقدمات عقلية وهمية تخمينية، لا يُعتد بها حيث لا أساس لها من الصحة، نذكر منها:

١- قولهم بأن المادة أزلية، وأن المادة لا تخلق ولا تُفنى، وهذا قول باطل؛ حيث أثبت العلم الحديث أن المادة في كل شكل من أشكالها المعينة التي يمكن أن نشير إليها ليست أزلية،بل إنها قابلة للتحلل أو التحول إلى مواد أو طاقات أخرى.

ومعلوم أن كل ما يتحلل أو يتحول فليس بأزلي غير حادث، بل هو بالضرورة حادث.

إذن فالمادة المعينة حادثة فانية.

ونذكر مثالًا لذلك:





إننا إذا قلنا لإنسان له إلمام بعلم الكيمياء والفيزياء بأن المادة تُفنى، ثم ضربنا له مثلًا على ذلك بموته، فقد تكون إجابته: إنني لم أفن، وإنما تحولت إلى مواد أخرى، فإذا قلنا له: ولكن هذه المواد الأخرى أيضًا تُفنى.

يقول: ولكنها بدورها تتحول إلى مواد أخرى.

فإذا استمررنا قائلين: وهذه بدورها تفنى، وما تتحول إليه تُفنى.

ظل هو مُصرًّا على رأيه بأن هنالك وراء كل هذا مادة لا تُفنى.

فإذا قلنا له: وما هي هذه المادة التي لا تُفنى؟

نجده لا يُحري جوابًا.

لأنه في الحقيقة لا يتحدث عن مادة واقعية، وإنما يتحدث عن مادة ذهنية فلسفية، وهمية تخمينية.

لذلك، فإن المادة الأزلية لا وجود لها في الأعيان، وإنما وجودها في الأذهان، ونحن في حياتنا اليومية والعلمية إنما نتعامل مع مادة مُعينة، لا مادة ذهنية.

ونخلص من ذلك: بأنه لا بد أن يكون من وراء هذه المادة ووجودها سبب حقيقي ما يكون من طبيعتها، أي يكون: أزلي ليس لوجوده بداية وليس له نهاية، ألا وهو الإله الخالق العظيم.

٢- مثال على مثل تلك الفلسفة الذهنية الوهمية:

لنتخيل أن رهطًا من سكان بعض النجوم هبط إلى الأرض، وهم يسمعون لكنهم ليس لديهم القدرة على الكلام، وأرادوا أن يبحثوا عن الأسباب المؤدية إلى تكلم الإنسان، وبينما هم في بحثهم إذ هبت الرياح، واحتك غصنان أحدهما مع الآخر، فنتج صوت، وتكررت هذه العملية غير مرة حتى توقفت الرياح، وإذا بهم يظنون أنهم قد توصلوا إلى معرفة سر كلام الإنسان، وهو أن فم الإنسان يحتوي على فكين من الأسنان، فإذا احتك الفك العلوي بالفك السفلي تكلم، ومما لا شك فيه أنه إذا احتك شيء بالآخر يُحدث صوتًا، ولكن: هل هذا الواقع يكشف عن سر كلام الإنسان؟!

بالطبع: لا.

لأن ذلك يُعدُّ وهمًا، وباطلًا لا أساس له من الصحة.





كذلك، فإن الفلسفية الوهمية لأهل الإلحاد ومنكري الألوهية تعدّ كشفها لنظام الطبيعة تفسيرًا لهذا الكون.

وما ذلك إلا خُدعة، وادعاء باطل، كما أشرنا في المثال السابق للتقريب.

ولذلك نؤكد بأن: فلسفة أهل الإلحاد ما هي إلا فلسفة ذهنية تخمينية، وادعاء باطل لا أساس له من الصحة.

فمثل هؤلاء الملحدين ومنكري الألوهية قد أغمضوا أعينهم عن الحقائق الظاهرة وشادوا قناطر خيالية من الادعاء، كما تتمثل في استدلالاتهم بالشاذ من الأمور.

وما ذلك إلا اتباعًا للأهواء والشهوات، وخضوعًا لكبر النفس وغرورها.

- مثال آخر على مثل تلك الفلسفة الذهنية الوهمية لأهل الإلحاد ومنكري الألوهية:
- قد يقول ذلك المنكر لوجود الله تعالى: هل يستطيع ربكم أن يخلق حجرًا لا يستطيع تحريكه؟ وهو يظن أننا مضطرون إلى أن نجيب بنعم أو لا، وفي كلا الحالين يتحقق له ما يريد.

فإن قلنا: نعم يستطيع، يقول: إذن هنالك شيء لا يستطيعه، وهو تحريك هذا الحجر.

وإن قلنا: لا، يقول: إذن هنالك شيء لا يستطيعه، فهو ليس قادرًا، ولكننا لن نجيب بهذا ولا بذاك، بل نقول:

إن سؤالك ينطوي على تناقض، فهو أمر مستحيل عقلا، وقدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيلات، لأن المستحيل عقلا ليس في حقيقة الأمر بشيء.

٣- لقد سلَّم -أهل الإلحاد ومنكري الألوهية- بأن التجربة والمشاهدة هما وسيلتا العلم القطعيتان، وهذا ادعاء كاذب.

وسوف نذكر مثالًا يوضح أن التجربة والمشاهدة ليستا وسيلتي العلم القطعيتين، حيث إن العلم لا ينحصر في الأمور التي شوهدت بالتجربة المباشرة، حيث إن هناك من العلوم ما لا يُدرك إلا بالرواية، وأخرى بالاستنتاج العقلي، وأخرى عن طريق الأنبياء والرسل والكتب السماوية.

ومما يدل على أن العلم لا ينحصر في الأمور التي شوهدت بالتجربة المباشرة:





كان الناس قديمًا يصنعون السفن الشراعية من الخشب، اعتقادًا منهم أن الماء لا يحمل إلا ما يكون أخف منه وزنًا، وحين قال بعضهم: إن السفن الحديدية سوف تطفو على سطح الماء كالتي من الخشب، أنكر الناس عليه مقالته، واتخذوها هزوًا، وجاءوا بنعل من حديد في دلو مملوء بالماء ليشهد الناس على أن هذه القطعة الحديدية استقرت في القاع، بدلا من أن تطفو على سطح الماء، وكان ذلك العمل تجربة.

ولكننا جميعًا نعتقد اليوم، ونقول بأنها كانت تجربة باطلة، فلو كانوا قد ألقوا بطبق من حديد لشاهدوا بالعين صدق ما قيل من طفو السفن الحديدية.

وكذلك الحال بالنسبة لأهل الإلحاد ومنكري الألوهية فقد حصروا علمهم فيما شاهدوه بأعينهم أو بالتجربة المباشرة، مستدلين بها على صحة قولهم.

ولذلك فإن أهل الإلحاد قد أنكروا وجود الإله الخاق استدلالًا بعدم رؤيتهم له، حيث إنهم قد حصروا علمهم في الأمور المشاهدة عيانًا أو بالتجربة المباشرة، وذلك مما لا شك فيه فلسفة وهمية، وادعاء خاطئ كاذب.

ويُدلل على ذلك أيضًا:

أنه في بداية القرن العشرين كان ما زال التلسكوب ضعيفًا، فلما شاهد العلماء السماء بهذا المنظار وجدوا أجرامًا كثيرة كالنور، فاستنبطوا أنها سحب من البخار والغاز، تمر

بمرحلة قبل أن تصير نجمًا، ولكن بعدما صُنع منظارًا قويًّا، وشوهدت هذه الأجرام مرة ثانية، علموا أن هذه الأجرام الكثيرة المضيئة هي مجموعة من نجوم كثيرة كالسحب، نتيجة البعد الهائل بينها وبين الأرض.

وهذا مما يؤكد أن: التجربة والمشاهدة ليستا وسيلتي العلم القطعيتين، فالعلم لا ينحصر في الأمور التي قد شوهدت عيانًا أو بالتجربة المباشرة.

فكل حقيقة نؤمن بها تكون فرضًا في أول أمرها، إلى أن تُكتشف حقائق جديدة تُدعّم صدقها، لذلك فإن العالم يؤمن بوجود شيء غائب بمجرد ظهور نتائجه وآثاره.

وهذا مما يُحتّم علينا أن نؤمن أن من وراء هذا الكون إله خالق عظيم لظهور آياته، والآثار الدالة على عظيم صفاته وقدرته في إبداعه لهذا النظام الكوني العجيب المذهل.





٤- قولهم بأن المادة قد تجمعت مصادفة لتأخذ الأشكال التي يتكون منها عالمنا من حياة وعقل، وذلك زعم باطل.

فالمصادفة وحدها - لا سيما في مثل ذلك الحال- لا تُجدي، بل لا بد أن يكون وراءها تصميم.

مثال ذلك: إذا ما كان تكوين الكائنات من الذرات مُجتمعة يكون بالمصادفة، فإن ذلك نقيض أن هذه الذرات كانت مُصممة بحيث إذا اجتمعت بطريقة ما تكون منها ذهب، وإذا تكونت بطريقة ما تكون منها ماء، وهكذا.

إذن فالمصادفة وحدها لا تحل الإشكال؛ لأنها لا تغني عن التصميم.

مما يؤكد وجود هذا المصمم المبدع لهذه الذرات، وطريقة تجمعها، وبالتالي لهذا الكون.

فلا يسعنا إلا أن نقول بأن من وراء هذا الكون مصمِّم مبدع، وهو الإله الخالق العظيم.





إجابة سؤال الفصل علميًّا

هل للكون إله؟

إن وجود الإله الخالق أمر تعرفه العقول بداهة، لذلك لم يكن ينكر وجود الإله الخالق فيما مضى إلا فئات قليلة من البشر، ولذلك كانت الرسالات السماوية تُبنى على إقرار الناس بوجود الرب تعالى، وأنه هو الذي خلقهم ويرزقهم ويحييهم ويميتهم، ثم تزيدهم علمًا به، وتدعوهم إلى عبادته وحده دون سواه مما يعلمون أن أنه لم يخلق ولم يرزق، ولا يحيي ولا يميت، ولا يتصف بشيء من صفات الإله الخالق.

ويمكن صياغة السؤال السابق بكيفية أخرى، فنقول:

هل الخالق هو الأزلي (الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء) أم المادة؟!

لقد اكتُشف قانون يسمى بـ "قانون الطاقة المتاحة" أو "ضابط التغيير"، حيث إن هذا القانون يُثبت أن المادة ليست أزلية، وبالتالي فإنه لا يمكن أن يكون وجود هذا الكون أزليًّا.

ما يشير إليه "قانون الطاقة المتاحة" أو "ضابط التغيير":

إن قانون الطاقة المتاحة يصف لنا: أن الحرارة تنتقل دائمًا من "وجود حراري" إلى "عدم حراري" والعكس غير ممكن.

فلا يمكن أن تنتقل الحرارة من (وجود حراري قليل) أو (وجود حراري عدم) إلى (وجود حراري أكثر) بل إن الحرارة تنتقل من (وجود حراري أعلى) إلى (وجود حراري أقل).

وبناء على هذا الكشف العلمي المهم، فإنه:

لا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات، وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل، وسيترتب على ذلك: أن تنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية، وتنتهي الحياة بذلك تلقائيًّا.

وبذلك يثبت لدينا قطعيًّا: أن الكون ليس بأزلي.





وهكذا أثبتت البحوث العلمية –دون قصد– أن لهذا الكون بداية، ومن ثم أثبتت تلقائيًّا وجود الإله الخالق لهذا الكون، لأن كل شيء ذو بداية لا يمكن أن يبتدي بذاته، بل لا بد إلى المحرك الأول، وهو الإله الخالق.

وعلينا أن نعلم: أنه لا تناقض بين كون الشيء مخلوقًا، أي خلقه الله سبحانه وتعالى، وأن يكون لحدوثه تفسيرًا طبيعيًّا.

فقد قيل للنبي محمد ﷺ: يا رسول الله، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي بها، وتقاة نتقيها، هل تَرُدُّ من قدر الله شيئًا؟

قال ﷺ: ((**هي من قدر الله**)) [أخرجه الترمذي].

فمن مشاهدتنا لمخلوقات الله تبارك وتعالى نجد أن من سنته جل وعلا أن يخلق الأشياء بأسباب، وأن هذه الأسباب تكون في بعض الأمور لا تتغير البتة.

فالله جل وعلا هو الذي خلق الأسباب، وجعلها أسبابًا، فهي لا تؤثر إلا بقدرته سبحانه وتعالى.

ونذكر ختامًا لهذا الفصل: موجزًا لهذه المناظرة من المسلمين للشيوعيين المنكرين لوجود الإله الخالق، والتي حدثت بعد الانقلاب الذي حدث في روسيا على يد لينين، وكان هناك جمع عظيم من المسلمين والنصارى والشيوعيين الدهريين وغيرهم، أكثر من عشرة آلاف نفس:

المناظرة

- قام زعيم الشيوعيين وخطب وتكلم، وهذي، إلى أن قال:

إن الناس يقولون: إن الله موجود، وهو الذي أوجد العالم ورباه ويُربيه، وقولهم هذا خرافة، لأنه لو كان موجودًا لرأيناه كما نرى الشمس والقمر وغيرهما، وهم يصفونه بأنه كبير وعظيم وجليل، كما في القرآن والتوراة والإنجيل، ونحن الآن نرى أدق الأشياء وأصغرها بآلة الرصد (الميكروسكوب والتلسكوب)، الآلات المُكبرة والمُقربة، وقد دققنا وفتشنا فلم نره، ولم يره أحد، بل ولا أخبر أحد أنه رآه، فهو معدوم وليس بموجود، والأشياء تولدها الطبيعة حسب مقتضى المادة... إلى آخر ما طغى وغوى وبغى.





قال أبو عبد الكريم (المناظر المسلم):

فقمت، وصعدت المنبر، وحمدت الله تعالى، وصليت على رسوله سيدنا محمد ﷺ وقلت:

إن الزعيم المنكر لوجود ربه وخالقه جل سلطانه بنى إنكاره على أنه لم يره، فأنا سائله: هل له روح في جسده، وعقل في مخه؟!

فلا بد أن يقول: نعم. إن له روحًا في بدنه، وعقلًا في مخه، فإن كان هكذا، فهل رأى روحه وعقله؟! ما هو وكيف هو؟!

فهذا قد أقر بوجود ما لم يره، واعترف بثبوت ما لم يُشاهد، وإنما أقر واعترف بوجود الروح والعقل لظهور أثرهما.

فإن كان هكذا فليُقر وليعترف بوجود الله الذي كل المخلوقات من آثار قدرته، ودلائل علمه وحكمته.

وهذا الإنسان الجاهل المنكِر إذا لم يستطع رؤية روحه التي هي في نفسه، فكيف يستطيع رؤية رب العالمين الذي الروح أمر من أمره؟!

والخالق الجليل هو الذي لا شبه له ولا نظير له، وهو سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ٢٥٨]

وقال أبو عبد الكريم: فالمسلمون كبَّروا وسبَّحوا وصفقوا، وسُرُّوا واستبشروا، وأما المنكرون الضالون فخجلوا وخابوا.

وتبعًا لهذه المناظرة، فقد هجم الروس على دار أبو عبد الكريم وأخذوا كل ما فيها مما له قيمة، ثم حكموا عليه بالإعدام رميًا بالرصاص، لكن الله تعالى –خالقه وبارئه– نجاه من شرِّهم وكيدهم في قصة عجيبة مذكورة في موضعها.



هل تقتضي الفطرة الحكيمة السوية أن يكون للكون إله خالق؟

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وفطره على الإيمان به جل شأنه، فدلالة الفطرة على وجود الإله الخالق أظهر من أن تحتاج إلى دليل، فالإنسان بفطرته يؤمن بربه، مصداقًا لقول رسول الله ﷺ:

((**كل مولود يولد على الفطرة**.....)) [البخاري].

ولهذا إذا ما وقع على أي إنسان في الدنيا شيء بغتة، وهذا الشيء مُهلك له، لكان يقول بلسانه: يا الله، أو يا رب. أو ما أشبه ذلك.

مما يدل على أن الغريزة الفطرية قد جُبلت على الإيمان بوجود الله عز وجل.

فالله سبحانه وتعالى هو الإله الخالق للإنسان والحيوان والطير والجماد وكل شيء، وهو جل وعلا خالق هذا الكون بما فيه من أحداث وأسباب.

وعلينا أن نعلم:

أنه لا تناقض بين كون الشيء مخلوقًا وكون لحدوثه أسباب؛ لأن الله تعالى من سنته أن يخلق بالأسباب، ولأنه هو سبحانه وتعالى خالق تلك الأسباب وجاعلها أسبابًا.

ومما يُدلِّلُ على أن الفطرة الحكيمة، السوية النقية تقتضي أن يكون للكون إله خالق:

هذه النماذج الحية التي قد تعرفت على خالقها بغريزتها الفطرية، التي جُبلت على الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى.

١- قد سُئل أعرابي: ما الدليل على وجود الرب تعالى،فقال:

يا سبحان الله، إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

إن كلمات هذا الأعرابي السوي الفطرة ألصق بالمنهج التجريبي، القائم على الملاحظة، وأقرب إلى التأثير في النفس، وأقدر على إقناع العقل من أية صيغة قياسية.

فالناس نوعان:



أ- نوع سليم الفطرة: حيث إنه يعرف الله تعالى، ويؤمن به بفطرته التي قد جُبِل عليها، فإذا رأى آيات الله تعالى في أرضه وسمائه عرف أنها آيات له، ودلائل على وجوده، فمعرفته وإيمانه بالإله الخالق سابقان لمعرفته بآيات الله جل وعلا، حيث إن معرفته بالآيات تؤكد إيمانه ولا تنشئه.

ب- ونوع حدث في فطرته خلل، فلم يعد يؤمن بوجود الخالق، لكنه إذا تأمل آيات الله تعالى وجدها دالة عليه، فآمن بالله عن طريق الآيات.

فكأن الآيات هي في حقيقتها تذكير للإنسان بأمر مستقر في فطرته.

يقول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

إن في خلق الإنسان آية دالة على وجود خالقه.

فالقرآن الكريم يدعو المنكر لوجود الخالق سبحانه وتعالى أن يفكر في هذه الحقيقة التي يعرفها أكثر من معرفته لغيرها من الآيات الأخريات في الأرض والسماء.

فكأن القرآن الكريم يقول لذلك المنكر لوجود الله تعالى:

إذا لم يكن الله هو الذي خلقك، وخلق الكون حولك، فهل خُلقت من غير شيء خلقك؟! أي هل جئت من العدم المحض؟!

سيقول كل عاقل في نفسه: كلا... فإن هذا مستحيل.

فهل أنت الذي خلقت نفسك؟!

سيقول: كلا... فإن هذا يبدو أكثر استحالة.

فهل كنت أنت الذي خلق هذه السماوات والأرض؟!

سيقول: كلا... فالقول بهذا مكابرة.

فهذه حجة فطرية يُدركها الناس بعقولهم، لذلك قرر القرآن الكريم مقدماتها في شكل أسئلة استنكارية.

٢- الإمام مالك:





حكى الرازي عن الإمام مالك،أن الرشيد سأله عن ذلك (يعني الدليل على وجود الرب تعالى) فاستدل له (يعني الإمام مالك): باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

أي أن: اختلاف اللغات بين مُختلف الأفراد والشعوب في شتى الأقطار، وكذلك الأصوات والنغمات من الآيات والدلائل التي تشهد بوجود هذا الإله الخالق، وعظيم حكمته وقدرته.

٣- الإمام أبو حنيفة:

عن أبي حنيفة أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى -الخالق- فقال لهم: دعوني، فإني مُفكر في أمر قد أُخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء
بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت من غير أن يسوقها أحد.

فقالوا -الزنادقة-: هذا شيء لا يقوله عاقل.

فقال: ويحكم، هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة، أليس لها صانع؟!

فبُهت القوم، ورجعوا إلى الحق، وأسلموا على يديه.

لذلك فإن الفطرة الحكيمة السوية تقتضي بأن يكون للكون إله خالق، مُدبِّر حكيم، فلا ينكر ما أقرته الفطرة السوية والعقل السليم إلا جاهل جاحد.

٤- الإمام الشافعي:

عن الإمام الشافعي، أنه سُئل عن وجود الصانع -الخالق- فقال:

هذا ورق التوت طعمه واحد، تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم -الحرير- وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك، وهو شيء واحد.

فقد استدل الإمام الشافعي بآية من آيات الله سبحانه وتعالى، والتي تشهد بعظم خلق الله تعالى وطلاقة قدرته، وتدلل على وجوده سبحانه وتعالى.





فقد علم –الإمام الشافعي– أن هذه الآية دلالة على هذا الإله الخالق، وذلك بفطرته السوية، فكانت هذه الآية تأكيدًا للإيمان، لا لإنشائه كما أوضحنا سابقًا.

٥– الإمام أحمد بن حنبل:

عن الإمام أحمد بن حنبل، أنه سُئل عن ذلك (الدليل على وجود الرب تعالى) فقال:

هاهنا حصن حصين، أملس، ليس له باب، ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز– الصافي– فبينما هو كذلك، إذ نصع جداره، فخرج

منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت حسن، مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

ونختم عنوان هذا الفصل بآيات الله تعالى في قوله:

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠].

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ [الزخرف: ١٦].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فإذا ما وضعنا ما تشير إليه هذه الآيات الكريمات في صيغة منطقية عقلية، مُخاطبة للملحد، المنكر لوجود الإله الخالق تكون كالتالي:

أنت –الملحد– تعلم من نفسك أنك حادث، وُجدت بعد أن لم تكن.

فإما أن تكون قد وُجدت من العدم، أوأن شيئًا أوجدك.

ومن المستحيل أن تُوجد من العدم.

إذن فقد أوجدك شيء –مُوجِد–.

وهذا الموجد: إما أن يكون أنت نفسك أو يكون غيرك.

ومن المستحيل أن تكون أنت الذي أوجدت نفسك.

إذن: فلا بد أن يكون شيئًا غيرك هو الذي أوجدك.

وهذا الغير الذي أوجدك إما أن يكون مِثلك، في حاجته إلى من يُوجده أو لا يكون في حاجة لذلك.

ولا يمكن لهذا الذي أوجدك أن يكون مثلك، لأنه لو كان مِثلك لقلنا له أيضًا مثل ما قلنا لك.



إذن: فلا بد أن يكون هذا الذي أوجدك خالقًا غنيًّا بنفسه، غير مُفتقر إلى من يوجده.

ولا شك: أن هذا الموجِد هو الله سبحانه وتعالى.

فَنَخْلُص من ذلك:

بأن الفطرة الحكيمة السوية تقتضي أن يكون للكون إله خالق، حكيم عظيم، غنيًّا بنفسه، غير مُفتقر إلى من يُوجِده، لأنه جل شأنه: هو الموجِد لكل شيء.



الأدلة على وجود الإله الخالق سبحانه وتعالى

إن الإيمان بوجود الله عز وجل قد دلَّت عليه جميع الأدلة العقلية، والفطرية، والحسية والشرعية وغير ذلك من الدلائل والشواهد العلمية المكتشفة حديثًا، والتي أثبتت وجود هذا الإله الخالق، ولم تترك مجالًا لعاقل لإنكار وجوده جل وعلا.

فلم يَفِه (يتكلم) أحد بإنكار وجود الله عز وجل إلا على سبيل المكابرة، واتباع الهوى، فإن كل عاقل لا يمكنه أن يدَّعي أن هذا الكون خُلق أو جاء صدفة، أو جاء من غير مُوجِد؛ لأن هذا ممتنع باتفاق العقلاء.

ونذكر من الأدلة على وجود هذا الإله الخالق مُوجِزين:

أولا: الدليل العقلي:

أننا نشاهد هذا الكون في وجوده، وفيما يحدث فيه من أمور لا يمكن أن يقدر عليها أحد من المخلوقين، كوجود هذا الكون، والسماوات والأرض وما فيها من نجوم، وجبال، وأنهار، وأشجار، وناطق –الإنسان– وبهيم، وغير ذلك...

ونتساءل: من أين حصل هذا الوجود؟!

أ – هل حصل هذا صُدفة؟

ب– هل حصل هذا بغير مُوجِد؟

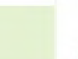
جـ– هل هذا الكون أوجد نفسه؟

فهذه ثلاثة احتمالات، وكلها باطلة، ولم يبق إلا الاحتمال الرابع –لم نذكره بعد– الذي هو الحق.

فأما كونها وُجدت صدفة، فهذا أمر يُنكره العقل وينكره الواقع؛ لأن مثل هذه المخلوقات العظيمة لا يمكنك أنت أن توجدها هكذا صدفة، فكل أثر لا بد له من مُؤثِّر.

وكون هذه المخلوقات العظيمة بهذا النظام البديع المتناسق، الذي لا يتعارض، ولا يتصادم، لا يمكن أن يكون صدفة؛ لأن الواقع –الذي يقع– صدفة تكون تغيراته غير منتظمة؛ لأنه كله صدفة.



وأما هذا الوجود أوجد نفسه، فظاهر ومعلوم استحالته أيضًا؛ لأن هذا الوجود قبل أن يُوجَد ليس بشيء، بل هو عدم، والعدم لا يمكن أن يوجد معدومًا.

وأما كونه وُجِد من غير مُوجِد، فهو بمعنى قولنا: إنه وُجِدَ صدفة، وهذا كما سبق مستحيل.

بقي أن نقول بالقول الحق –القول الرابع-: إن هذا الوجود وُجِد بمُوجِد، وهو الله عز وجل، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

إذن فهذا الكون دلَّ عقلا على وجود الله سبحانه وتعالى.

ثانيا: وأما دلالة الفطرة:

فكما أشرنا سابقًا، أن دلالة الفطرة أظهر من أن تحتاج إلى دليل؛ لأن الإنسان بفطرته يؤمن بربه، ولهذا لو وقع على أي إنسان في الدنيا شيء بغتة، وهذا الشيء مهلك له، لكان يقول بلسانه من غير أن يشعر: يا الله، أو: يارب أو ما أشبه ذلك، مما يدل على أن الغريزة الفطرية جُبلت (فُطرت) على الإيمان بوجود الله عز وجل.

ولقد لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى هذا الاعتراف الفطري، حيث قال تعالى في صيغة الاستفهام التقريري: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]

ولذلك: فإن الإنسان وخَلْقه على هذه الصورة، حيث ميل غريزته وفطرته للإيمان به جل، وتوحيده لشاهد ودليل على وجوده وحكمته وطلاقة قدرته.

ثالثًا: دلالة الحس:

إن الغريزة البشرية والفطرة الإنسانية تعترف بوجود الله سبحانه وتعالى، حيث تجعل الإنسان دومًا يلجأ إلى إلهه وخالقه جل وعلا في الدعاء والمسألة.

ولا شك أن الذي خلق الإنسان وفطره على كيفيته هذه، من ميل غريزته وفطرته للإيمان به وتوحيده واللجوء إليه دومًا في الدعاء والمسألة لَشاهد حق ودليل صدق على وجوده، وحكمته وطلاقة قدرته.





وكثير ما نسمع –بيقين دون أدنى شك– عن إجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء عباده المؤمنين الصالحين، لا سيما الأنبياء والمرسلين، وكثير ما نرى بأعيينا ما يدل على إجابة الله سبحانه وتعالى لدعائنا ومسألتنا، فكم من إنسان دعا الله تعالى، وقال: يا رب. فرأى الإجابة نصب عينيه.

وقد جاء في السنة الصحيحة لخاتم أنبياء الله ورسله محمد ﷺ ما يدل على ذلك أيضًا منها:

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث قال:

دخل رجل يوم الجمعة والنبي (محمد) ﷺ يخطب، فقال –الرجل–:

يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السُّبُلُ، فادْع الله يُغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: ((**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**))، وكانت السماء صحوا، ليس فيها شيء من السحاب، فما نزل النبي ﷺ من على منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته عليه الصلاة والسلام لنزول المطر، وبقي المطر أسبوعًا كاملا حتى دخل رجل من الجمعة الثانية، فقال: يا رسول الله، تهدَّم البناء، وغرق المال، فادع الله أن يمسكها –السماء– عنا، فرفع النبي ﷺ يديه، وجل يقول: ((**اللهم حوالينا ولا علينا**)) ويشير بيده، فما يشير من ناحية إلا انفرجت بإذن الله، فخرج الناس يمشون في الشمس. [رواه البخاري]

فكان هذا الحديث الشريف دليلا مرئيًا وشاهدًا حسيًّا على إجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء نبيه محمد ﷺ.

ونشير إلى:

١– أن في هذا الحديث الشريف الصحيح إشارة إلى صدق نبوة رسول الله محمد ﷺ، حيث إن من دلائل نبوته ﷺ أن يؤيده ربه تبارك وتعالى بإجابة دعائه، لا سيما إن كان على مرئى ومسمع من كثير من الناس، فيكون ذلك حجة له ﷺ، ودليلا على صدق رسالته، وحجة على الناس جميعًا –كل من علم بهذا الحديث وبغيره من دلائل النبوة– للإيمان والتصديق بنبوته ورسالته ﷺ، ومن ثم اليقين في صدق دعوته، وصدق كل ما أخبر ﷺ به.



٢- أن في هذا الحديث الشريف الصحيح إشارة إلى رحمة وفطنة وحكمة رسول الله ﷺ، حيث إنه ﷺ قد استجاب لمطلب الرجل بداية، بأن دعا ﷺ ربه تبارك وتعالى كي ينزل المطر للحاجة والإغاثة، فكان ذلك إشارة إلى رأفته ورحمته ﷺ.

ثم بعد استمرار المطر أسبوعًا كاملًا، ومجيء رجل مرة ثانية ليطلب من رسول الله ﷺ أن يدعو ربه سبحانه وتعالى لإمساك المطر لِما قد نزل به من ضرر، استجاب رسول الله ﷺ لمطلبه، ولكن بفطنة وحكمة، حيث دعا ﷺ ربه تبارك وتعالى: ((**اللهم حوالينا ولا علينا**)) يعني: أن يستمر المطر للانتفاع به، مع أن يكون نزوله من حول المدينة لا عليها، لعدم إلحاق الضرر بأهلها.

فلا يأت آخر ويطلب منه ﷺ أن ينزل المطر مرة ثانية لما قد نشأ من هلاك وضرر لعدم نزوله، فكانت هذه الحكمة العظيمة من رسول الله ﷺ ورحمته ورأفته بمن أُرسِل إليهم؛ إشارة ودليلا على نبوته ﷺ وصدق دعوته وكل ما أخبر به.

ولذلك: كان ما أشرنا إليه من إجابة الله سبحانه وتعالى لدعاء عباده، موجزًا من الدليل الحسي على وجود الله عز وجل.

رابعًا: ما أخبرت به الأنبياء والرسل من وجود الإله الخالق ووحدانيته وعظيم صفاته وطلاقة قدرته، وما جاءت به من معجزات وخوارق شاهدة بنبواتهم ورسالاتهم وصدق دعواهم، حيث لا تنكرها الفطرة السوية، بل تتوافق معها توافقًا تامًّا.

خامسًا، الدليل العلمي:

لقد كان الإنسان المادي الملحد في بادئ الأمر يُخيل إليه كمخلوق ضعيف أن نجم هائل كالشمس التي يراها يوميا دون تغير في هيئتها أنها أزلية، وأنها ستظل هكذا إلى الأبد؛ لأنه دائما يراها على حالتها دون تغير.

لقد قال الفلاسفة بقدم الأجرام السماوية وأزليتها، أي أنها لم تُخلق، أي أنها على حالتها تلك منذ القدم وإلى الأبد.



ولكن العلم الحديث: قد أثبت الآن يقينًا أن الإشعاع الصادر عن الشمس ينقص من كتلتها، وإن كان القدر الذي يُنقصه ضئيلا بالنسبة لحجمها، مما يؤدي إلى نهايتها في يوم من الأيام المستقبلية وإن بَعُد.

وبذلك فقد أثبت العلم الحديث بطلان قول الفلاسفة ومنكري الألوهية بأزلية الشمس أو غيرها من سائر النجوم، وكذلك سائر الأجرام والكواكب، حيث إن لها تاريخ بداية، وبالتالي فإنه من الضرورة أن تكون لها نهاية.

ثم جاء من هؤلاء الفلاسفة الذين أنكروا وجود الإله الخالق، وقال بأن الذرة هي المادة الأزلية، ولكن علم الفيزياء قد أبطل هذا الظن، إذ قد تبيَّن أن الذرة نفسها تتكون من أجزاء أخرى مثل الإلكترون والنيوترون والبروتون.

ثم قد تبيَّن أن هذه المكونات للذرة هي نفسها مُركبة من أجزاء، وآخر ما عرفه الفيزيائيون منها هو ما يُسمى بـ (الكوارك).

وقد يقول قائل بأن الكوارك هو المادة (الكوارك) هو المادة الأزلية، ولكن ذلك قول باطل من حيث:

١- أنه قول بغير علم، إذ ليس في هذه الكواركات ما يدل على أزليتها، وعدم تكونها هي الأخرى من أجزاء أصغر منها مثلما كان الظن في الذرة من قبل لا سيما إذا ما تقدمت وتطورت الوسائل التكنولوجية أكثر مما هي عليه الآن، ولا شك، فإن التقدم في الوسائل التكنولوجية يتم بشكل سريع مذهل.

٢- إذا كانت (الكواركات) أو غيرها (مما قد يُكتشف فيما بعد بأنه مكون لها، وأنه أصغر و أضأل منها) مادة أزلية فلا بد وأن تكون هذه المادة من (كواركات أو غيرها) قائمة بنفسها، مستغنية في وجودها عن غيرها، أي لا تُفنى ولا تتغير ولا تتبدل، ولكن ذلك قول خاطئ، حيث:

- إن العلم الحديث أثبت أن هذه الأجزاء قابلة لأن تتحول إلى طاقة، وأن الطاقة نفسها قابلة لأن تتحول إلى مادة.



فما نُسميه مادة الهيدروجين مثلا، وما نُسميه طاقة كالضوء، هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة، حيث:

- إن الطاقة تساوي الكتلة مضروبة في مربع سرعة الضوء.

وتدل هذه القابلية للتحول على: أن بقاءها في هيئتها المعينة كان معتمدًا على ظروف خارجة عن ذاتها، فلما زالت تلك الظروف زالت تلك الهيئة.

إذن، فهي ليست مُعتمدة في وجودها على نفسها.

إذن: فمن المستحيل أن تكون أزلية.

وناتج ذلك أيضًا: أن المادة في كل شكل من أشكالها المعيَّنة قابلة للفناء، فالمادة تُستحدث، وتفنى، حيث إنها قابلة للتحلل أو التحول إلى مواد أو طاقات أخرى، وكل ما يتحلل أو يتحول فليس بأزلي.

سادسًا ، الدليل الكوني:

لقد اكتشف العلم الحديث في مجال الفلك حقيقة في غاية الأهمية لم تكن تُعرف من قبل.

فقد اكتشف علم الفلك أن الكون يتسع بالتسلسل الدائم، حيث تتباعد مجراته بعضها عن بعض بصورة مستمرة، وبسرعة كبيرة، وأن الذي يتحرك متسعًا هو المكان الذي تحل فيه تلك المجرات، وباتساع ذلك المكان يزداد البُعد بين المجرات الحالَّة فيه مع استمرارها وانتظامها في دورانها في أفلاكها.

وقد حاول علماء الفلك تفسير هذه الظاهرة العجيبة، فكان من نتاج ذلك أن قد اقْتُرِحتا نظريتان شهيرتان لتفسير هذه الظاهرة، وهاتان النظريتان هما:

أ- نظرية الخلق المستمر أو (الكون ذي الحال الثابت).

ب- نظرية الانفجار العظيم.

- وكانتا هاتان النظريتان قد صِيغتا من أجل تفسير ما قد اكتشف من الثبات في كثافة هذا الكون على الرغم من التباعد المستمر بين أجزائه.

أ- نظرية الخلق المستمر (الكون ذي الحال الثابت):



لقد فسَّرت نظرية الخلق المستمر ثبات كثافة الكون مع استمرار التباعد بين أجزائه على أنه: توجد مادة تأتي محل –مكان– المادة التي تباعدت، وبهذا يظل الكون مُحتفظًا بكثافته رغما عن تباعده، ثم قالوا: إنه لذلك، فإن الكون على حال ثابت منذ الأزل، لا بداية له ولا نهاية.

– ثم جاء التساؤل الذي أبطل ذلك الاستنتاج، ومن ثم تلك النظرية، حيث كان التساؤل: من أين جاءت هذه المادة؟

فقال بعض القائلين بتلك النظرية –في بادئ الأمر– أنها تُخلق من العدم، فجاء اعتراض الكثير على مثل ذلك القول، حيث إن العدم لا يخلق شيئًا.

ثم لم يلبث العلماء أن اكتشفوا حقائق أصابت تلك النظرية في مقتل، حيث وجدوا أدلة قاطعة على أن الكون لم يبق على حال واحد، كما تفترض النظرية، والتي كانت لذلك تسمى (نظرية الكون ذي الحال الثابت).

بل ثبت أن الكون في تَغيُّر على عكس ما افترضته تلك النظرية، ولم تستطع تلك النظرية أن تُفسر هذا التغير، ولهذا فقد مال العلماء عنها إلى النظرية الأخرى، وهي نظرية الانفجار العظيم.

ب– نظرية الانفجار العظيم:

تقول هذه النظرية: بأنه إذا كان الكون إلى اليوم يتباعد، فلا بد أنه في يوم ما كان متقاربًا، وإذا ما تخيلنا سَيْر هذه المجرات في الاتجاه المعاكس لاتجاه تباعدها اليوم، أي وهي تجري مُقتربة بعضها من بعض، فإنها ستكون قطعة واحدة مُساوية في حجمها لمجموع أحجام المجرات المكونة لها.

ولكن الفيزيائيين يقولون: إنه كلما اقتربت هذه المجرات من بعضها وتضامَّت ازدادت كتلتها، فتزداد شدة جاذبيتها، فيزداد التلاصق، وتتلاشى الفراغات بين النجوم المكونة للمجرات، ثم يزداد ضغط الجاذبية على النجوم نفسها، وهكذا يستمر الضغط





حتى تكون المادة المكونة للكون في حجم الذرة، ثم يستمر الضغط إلى أن تكون هذه المادة في أصغر ما يمكن.

ثم انفجرت هذه المادة ذات الضغط الشديد والطاقة الهائلة، وانتشرت أجزاؤها في صورة إشعاع، ثم بدأ يَبرُد فتكوّن منه بالتدريج هذا الكون المشهود.

ثم جاء التساؤل المهم:

من أين جاءت هذه المادة التي خُلِق منها هذا الكون؟!

هل من الممكن أن تكون هذه المادة جاءت من العدم؟!

بالتأكيد: لا، فإن العدم لا يخلق شيئًا.

إذن: فمن أين وجدت؟

الجواب المؤكد: لا شك أن الذي أوجدها هو الإله الخالق لها من العدم، والخالق لكل شيء، وأنه سبحانه وتعالى يُوصف بطلاقة القدرة، وأن صفاته مُغايرة لصفات المخلوقين، فإذا أراد شيئا فإنما يقول له: كن. فيكون، فسبحان الله العظيم!!

إشارة مهمة:

نود أن نشير إلى أن القرآن الكريم الذى أنزله الله تبارك وتعالى عل خاتم أنبياءه ورسله محمدﷺ قد أشار إلى هذه النظرية (نظرية الانفجار العظيم)، بل إنه –القرآن الكريم– رفعها من كونها نظرية فرضية –وإن كان مال إليها العلماء عن غيرها– إلى كونها حقيقة مؤكدة، لما أشرنا سابقا من أنه يلزمنا الإيمان بأنبياء الله ورسله، والتصديق بما أُنزل عليهم من كتب سماوية، وبكل ما أخبروا به.

فقد أنزل الله جل شأنه في القرآن الكريم، قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

كانتا رتقا: تعني: أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين، غير متباعدتين.

ففتقناهما: تعني: ففصلنا بينهما؛ أي: بين السماء والأرض.





حيث تدعونا الآية الكريمة إلى التأمل في كيفية بَدْأ هذا الكون المشهود، للتعرف على خالقه، والإيمان به وبعظيم صفاته وطلاقة قدرته.

ولذلك: فإن هذه الآية الكريمة إعجاز علمي رائع، شاهدة بصدق كلام رب العالمين الذي أنُزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد ﷺ.

سابعًا ، دليل العناية:

إن مَن يتأمل في هذا الكون الذي خلقه الله سبحانه وتعالى يَجده في غاية التوازن، ومُتناسبًا إلى حد لا يمكن تصوره.

بل إن هذا التوازن العجيب والتناسب الدقيق يكون في صالحه – الإنسان-.

فكيف يمكن أن يكون مثل هذا التوازن المُذهل في صالحه، إذا كان الكون قد وُجد صدفة؟!!

إن كل مُتأمل لهذا الكون وما به من مخلوقات يرى أنها ليست كومًا عشوائيًا من الموجودات، بل هي مرتبة ترتيبًا، ومصممة تصميمًا يكون من ورائه غاية تدل على أن لهذا الكون، وما به من مخلوقات وموجودات له صانع عالم حكيم.

فنجد أن حركة هذه المخلوقات والموجودات حركة مُتسقة لا يُعطل بعضها بعضًا، بل إن القوانين التي تحكمها قوانين واحدة، لا تختلف مهما اختلف الزمان أو المكان، إلا إذا أراد الإله الخالق لها أن تتخلف تخلُّفًا يكون هو في نفسه معجزة دالة عليه سبحانه وتعالى، وعلى طلاقة قدرته، وعظيم خلقه.

وعلينا أن نعلم: أنه لا تناقض بين كون الشيء مخلوقًا، وكون لحدوثه أسباب؛ لأن الله سبحانه وتعالى ما سنته أن يخلق بالأسباب، ولأنه سبحانه وتعالى هو خالق تلك الأسباب وجاعلها أسبابًا.

ولذلك: فإن كل ما نراه ونشاهده من الاتزان العجيب والتناسق الدقيق في هذا الكون دلالة على عناية الله سبحانه وتعالى بخلقه.

ولنُلقي الضوء على بعض ما يُوضح هذا الاتزان العجيب والتناسب الدقيق في هذا النظام الكوني دلالة على كمال حكمة الإله الخالق وعظيم صنعته، وإشارة إلى عنايته سبحانه وتعالى بخلقه:





١- إن الأرض التي نحيا عليهم في ضخامتها بالنسبة لنا، لا تساوي ذرة من هذا الكون العظيم، فلو أنها كانت في حجم القمر لكانت جاذبيتها سُدس جاذبيتها الحالية، ولكان نتيجة ذلك: أنها لا يمكن لها أن تُمسك الماء والهواء من حولها، كما هو الحال في القمر الذي لا يوجد به ماء، ولا يحوطه غلاف جوي، وسوف تشتد البرودة ليلا حتى يتجمد كل ما فيها، وتشتد الحرارة نهارًا حتى يحترق كل ما عليها.

وعلى العكس من ذلك: فإذا كان قُطر الأرض ضعف قطرها الحالي لتضاعفت جاذبيتها الحالية، ثم ينكمش غلافها الجوي، ثم ينشأ ضغط يؤثر أسوأ الأثر في الحياة التي نعيشها، وكلما ازداد حجم الأرض يزداد هذا الضغط الذي يؤدي إلى استحالة نشأة الأجسام الحية.

٢- إن الأرض تتم دورة واحدة حول محورها في كل أربع وعشرين ساعة، ومعنى ذلك: أنها تسير حول محورها بسرعة ألف ميل في السرعة.

فإذا فرضنا أن هذه السرعة انخفضت إلى مائتي ميل في الساعة لطالت أوقات الليل والنهار عشرات المرات بالنسبة إلى ما هي عليه الآن، ويترتب على ذلك أن تحرق الشمس - بشدة حرارتها- كل شي فوق الأرض، وما بقي بعد ذلك سوف تقضي عليه البرودة الشديدة في الليل.

٣- قشرة الأرض: فإذا كانت قشرة الأرض أكثر سمكًا بمقدار عشرة أقدام من سمكها الحالي، لما وُجد الأوكسجين، حيث إن القشرة الأرضية سوف تمتص الأوكسجين، وبذلك تستحيل الحياة.

٤- البحار: فإذا كانت البحار أعمق بضعة أقدام أكثر من القاع الحالي، لانجذب الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون الذي يأخذه النبات ليُخرج الأوكسجين اللازم للحياة، وبذلك يستحيل وجود النبات على الأرض، ولانعدمت الحياة لانعدام الأوكسجين.





٥- الغلاف الجوي: فإذا كان الغلاف الجوي ألطف مما هو عليه الآن لاخترقته النيازك، ولسقطت على الأرض فأحرقتها.

٦- الشمس: فإذا اقتربت الشمس من الأرض بمقدار نصف مسافتها الحالية لاحترق الورق على الفور من حرارتها، ولو بعدت بمقدار ضعف مسافتها الحالية بينها وبين الأرض، فإن البرودة الشديدة الناتجة عن ذلك سوف تقضي على الحياة على سطح الأرض.

ولو أنه حلَّ محل الشمس نجم آخر يحمل حرارة تزيد أضعافًا على حرارة الشمس، فإن الأرض سوف تكون تنورًا رهيبًا.

وإلى غير ذلك الكثير والكثير من مظاهر الاتزان العجيب والتناسب الدقيق في هذا النظام الكوني المشهود، إشارة إلى عناية الله سبحانه وتعالى بخلقه، وحفظه لهم، ودلالة على وجوده وحكمته وعظيم صنعته.

ثامنًا ، الدليل الخُلُقِي:

إن القيم الخُلُقية كالصدق والأمانة والعدل... قيم ضرورية لوجود المجتمعات البشرية، وبدون هذه القيم لا تكون هناك علاقات اجتماعية أو غيرها.

فالصدق وغيره من الفضائل والقيم الأخلاقية الأخرى ضرورة اجتماعية، وكلما كَثُر أصحابه –الصدق وغيره من الفضائل– وأهله كان المجتمع أقوى تماسكًا وأدعى؛ لأن تزدهر فيه العلوم والتقنية، والاقتصاد إذا ما توافرت شروطها الأخرى.

وفي غياب الألوهية والدين تنعدم مثل هذه القيم الخُلُقية، حيث إنه:

لا تتوافر الدواعي التي يقتضي من ورائها التمسك بمثل هذه القيم.

فعلى سبيل المثال:

قد لا يجد الصادق جزاء صدقه، وقد لا يجد أي من تمسك بمثل هذه الأخلاقيات جزاءً له نظير تمسكه وتحلِّيه بمثل هذه الأخلاقيات والفضائل.

وقد يكون الكذب وسيلة –وإن كانت خاطئة– لدفع ضرر مُلحق بصاحبه أو الحصول على ما ليس بحق، وإذن فلن يتردد الفرد في أن يتخذ الكذب أو غيره من





الرذائل وسيلة لدفع ضرر ملحق به أو نيل ما ليس بحقه، إذ لا تتوافر من الدواعي ما يقتضي من ورائها التخلي وعدم التمسك بأي من هذه الرذائل.

حيث إنه لا يوجد على سبيل ما افترضناه إله خالق، عادل حكيم...

يثيب المحسن المصلح ويجازي ويُعاقب الرذيل المفسد، ومن ثم لا توجد دار أخرى يُثاب أو يجازى فيها أي منهما.

ولذلك، فإن من يتمسك بمثل هذه الفضائل والقيم الخُلُقية، إذا كان فيها خسارة لبعض المكاسب الدنيوية، يقول في نفسه:

عَلامَ وفِيمَ التضحية بمثل تلك المكاسب الدنيوية وضياع مثل تلك اللذة العاجلة إذا لم يكن هناك جزاء لِما تمسكت به من فضائل وقيم خُلُقية؟!

وعندئذ يُمحى نور الخير من هذا الكون، ولا يبقى إلا الظلام الحالك الذي تتلاشى فيه معايير الخير والشر، حتى إن إبادة الناس بالقنابل لا تُعدّ ظلمًا، لأنهم سوف يلقون حتفهم في يوم ما، ولا إله محاسبًا للظالمين على أفعالهم، أو رادًّا للمظلومين حقوقهم.

إن الملحد المنكر لوجود الإله الخالق حين يتمسك ببعض من هذه القيم الخلقية كالصدق والأمانة والعدل مثلا، فإنه بذلك يتناقض مع مقتضيات مبدئه، حيث إنه لا يصدق صدقًا يفوِّت ويُضيِّع عليه مصلحة ما إلا في حين تخليه مؤقتا عن مبدئه أو عن عقله.

أما المؤمن الذي يؤمن بالله سبحانه وتعالى الخالق لكل شيء، فالأمر بالنسبة له عكس ذلك تمامًا.

فهو حين يكذب مثلا، فإنه يكون قد سلك سلوكًا يتناقض مع مبدئه وعقله، وحين يصدق فإنه يكون موافقا لهما، وكذلك موافقا لفطرته.

حيث إن الناس مفطورون على أن هذه القيم الخلقية قيم يحسن أن يلتزموا ويتمسكوا بها، فهي جزء من تكوينهم العقلي، وهم يشعرون لذلك –ما داموا محتفظين بفطرتهم– بالفرح والسعادة، وإذا ما تخلوا عن التمسك بمثل هذه القيم فإنهم يشعرون بالحزن والشقاء.





مِمَّا يُدلِّل على أن إيداع مثل هذه القيم الخلقية في فطرتهم لا بد وأن يكون من مودع حكيم، ولا بد وأن يكون من فاطرٍ لهذه الفطرة السوية.

أي لا بد من وجود إله خالق لهذا الكون ومن فيه، وأن يكون جل شأنه هو الذي فطر الناس على مثل هذه الفطرة السليمة السوية.

ونُشير ختامًا لهذا الفصل الذي نتحدث فيه إلى:

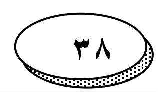
أنه لو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه، فإن معنى ذلك أنه يتمتع بأوصاف الخالق، وفي هذه الحال سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الإله، وهكذا ننتهي إلى التسليم بأن للكون إله، ولكن إلهنا ذلك سوف يكون عجيبًا، أي أنه سوف يكون إلهًا غيبيًّا وماديًّا في آن واحد!!

وبذلك يكون مثل ذلك القول باطلا مُنكرًا.

ولكننا نؤمن بالإله الخالق لهذا العالم المادي، وهو ليس بجزء من هذا الكون، بل هو جل شأنه حاكمه ومُدبِّره.







هل يمكن أن يكون للكون إلهين أو أكثر؟

لقد ثبت لدينا فيما أوضحناه سابقًا بشتى الدلائل الساطعة والبراهين الدامغة وجود الله سبحانه وتعالى، وأنه هو جل شأنه الإله الخالق لهذا الكون بما فيه من مخلوقات وموجودات، بل إنه جل وعلا الخالق لكل شيء، لما له من طلاقة القدرة وشمولية العلم وكالية الحكمة.

وما قد أحدثه كثير مِمَّن بدّلوا وغيّروا في فطرتهم من اعتقاد فاسد بوجود ألهة أخرى مع الله عز وجل، وإشراكهم في العبادة، ما هو إلا هوى نَفْس ونُقصان عقل، حيث إن الفطرة السوية والعقل السليم يُنكران أيا من ذلك، حيث لا دليل عليه فطريًّا كان أو عقليًّا أو غيرها.

وما ذلك الاعتقاد الفاسد –بوجود آلهة أخرى– إلا اتباعًا للظنون والأوهام؛ حيث لا صِلة لها بالحق اليقين، مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

بل إن الأدلة الدامغة على نقيض ذلك، حيث إن كل الشواهد والبراهين تؤكد وحدانية الله سبحانه وتعالى واستحالة أن يكون له جل وعلا ندًّا أو شريكًا في ألوهيته وعظيم صفاته وطلاقة قدرته.

ومن الأدلة التي تشهد بوحدانية الله سبحانه وتعالى:

١ – الدليل الفِطري:

أ– الإنسان بفطرته يؤمن بإلهه الذي خلقه، وأن الخالق له ولكل شيء إنما هو إله واحد.

فإذا ما وقع على الإنسان بغتة شيء مُهلك له، أو نزلت به نازلة لكان يقول بلسانه من غير أن يشعر: يا الله. أو يارب، مما يدلل فطريا على أن الإله الخالق هو إله واحد، لا شريك له، حيث لم يتلفظ الإنسان آنذاك سوى بلفظ واحد، وهي الكلمة التي تدل على وجود هذا الإله الخالق ووحدانيته.





ب- إن الإنسان إذا ما أراد أن يلوذ بربه وأن يلجأ إليه بالدعاء والمسألة نجده لا يدعو إلا إلهًا واحدًا، لا أكثر من ذلك.

ونجده لا يدعو إلا بما يدل على أنه إله واحد، فنجده يدعو ويقول: يا الله أو يا رب، أو ما أشبه ذلك.

وقد كان مشركوا العرب (قبل بعثة النبي محمدﷺ) يتخذون مع الله عز وجل آلهة كثيرة في الأرض، على هيئة أصنام وتماثيل من حجارة أو غير ذلك، ويعبدونها معه.

وإذا ما سُئل المشرك: كم من الآلهة يَعبد؟ يجيب بأنه إله واحد في السماء، ثم يذكر عدد ما شاء من الأصنام والحجارة التي قد اتخذها آلهة باطلة يعبدها في الأرض.

ولكن: إذا ما سُئل عن الإله الذي يدعوه ويسأله؟

قال: الذي في السماء.

مما يدل على أن الإنسان قد فُطِر على الإيمان بوحدانية الله سبحانه وتعالى.

٢- دعوة الأنبياء والرسل إلى وحدانية الله سبحانه وتعالى:

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله لدعوة الناس إلى الإيمان به جل وعلا والإقرار بوحدانيته، وأنه سبحانه وتعالى لا ندَّ له ولا شريك له في ألوهيته، ومن ثم إفراده جل وعلا بالعبادة وحده.

وكما أشرنا: فإن الله سبحانه وتعالى قد فطر الناس على الإيمان به جل وعلا وتوحيده، فلا تناقض بين ما دعا إليه المرسلون وبين ما فُطر الناس عليه من الإيمان بالله عز وجل وتوحيده.

وذلك لأن الإله الذي قد فطر الناس على الإيمان به وتوحيده هو ذاته الإله الذي أرسل أنبياءه ورسله لدعوة الناس إلى ما فطرهم عليه، وتذكيرهم بذلك، رأفة ورحمة منه تبارك وتعالى، وإقامة للحجة عليهم، حكمة وعدلا منه جل وعلا.



ولقد أيَّد الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله بالمعجزات والخوارق التي تشهد بتأييدهم من هذا الإله الخالق القادر... كما أشرنا سابقا، ومن ثم صدق ما أخبروا به من وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته، وصدق دعوتهم إلى الإيمان والتصديق بما أخبروا به.

٣- الدليل العقلي:

أ- ديل التمانع:

إذا ثبت لدينا بالحس أن الكون في غاية إتقان الصنعة وإحكام النظام، فإن ذلك يدل على أن خالقه – خالق الكون- واحد لا شريك له، ولا معاونة ولا منازعة له.

أي أنه إذا امتنع بالحس اختلال الكون، وثبت بالحس دقة وإحكام صنعه، امتنع أن يكون له أكثر من خالق.

فبفرض وجود صانعين متكافئين في الصفات والأفعال:

عند اختلاف إرادتهما –كأن يريد أحدهما تحريك جسم ما، ويريد الآخر سكونه وعدم تحريكه- فإن ما يحدث الآتي:

إما أن يحصل مراد كل واحد منهما، وهو جمع بين النقيضين، لذلك فهو قول باطل.

وإما أن لا يحصل مراد أي منهما، وهو أيضا قول باطل لنسبة العجز لكل واحد منهما.

وإما أن يحصل مراد واحد منهما دون الآخر، فيكون هو الرب الحق، والآخر عاجز لا يصلح للربوبية، ونظام الكون ودقة صنعه يدل على أن خالقه ومدبره واحد لا شريك له، وهو الله تعالى.

ونشير إلى: أن هذه الآية الكريمة:

قول الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

إنما مقصودها توحيد الألوهية: أي إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده، وهذا يقتضي الإقرار بتوحيد ربوبيته، أي أنه جل وعلا هو الخالق وحده.

ويُدلِّل على ذلك المقصود: أن مشركي العرب كانوا معترفين بتوحيد الربوبية، وأن الخالق هو إله واحد، فتخصيص الله سبحانه وتعالى وإفراد بالعبادة وحده –أي توحيد



الألوهية- لا يتأتى إلا بعد توحيد ربوبيته والإيمان والتصديق بأنه سبحانه وتعالى هو الخالق وحده، فلا ند ولا شريك له.

فمقصود القرآن الكريم هو توحيد الألوهية، وهو مُتضمِّن لتوحيد الربوبية من غير عكس، وبهذا قالت الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

وقد أشار إلى ما ذكرناه شيخ الإسلام (ابن تيمية) رحمه الله.

ب- إن بعد ثبوت وجود الله سبحانه وتعالى بشتى الدلائل والبراهين، وأنه جل وعلا هو الإله الخالق لهذا الكون وما به من مخلوقات وموجودات، فإنه لا يقبل العقل السليم، إلا وأن يكون هذا الإله الخالق إلهًا واحدًا، لا شريك ولا ندَّ له، حيث يترتب على ذلك تخصيصه وإفراده وحده جل وعلا بالعبودية، فلا يُعبد غيره من أصنام وأحجار وأباطيل وأكاذيب، وأوهام وظنون.

فالفِطرة السوية والعقل السليم لا يقبلان إلا وأن يكون العبد المخلوق خاضع لسلطان ونفوذ إله واحد، وهو الإله الخالق، وأن تكون العبادة له جل وعلا وحده، فلا تكون لأحد سواه؛ لأنه إذا كان للكون إلهان خالقان له، بما فيه من مخلوقات وموجودات، أو إذا كان له أكثر من إلهين، فإن الإنسان كعبد مخلوق مُلزم بالخضوع لسلطانهم جميعًا، ومن ثم الطاعة لهم والقيام والتنفيذ بكل ما أمروا به.

ولا شك أن أوامرهم وتكاليفهم –الآلهة الباطلة- سوف تكون مختلفة ومتناقضة ومتضاربة.

وعند ذلك، لا يدري الإنسان المسكين، كعبدٍ مخلوق، أيًّا من تلك الأوامر والتكاليف ينفذها، ولأي من تلك الآلهة يطيع.

وإذا قام ذلك العبد المخلوق بتنفيذ أوامر وتكاليف أحدهم –الآلهة- فإنه سوف يُعرِّض نفسه لسخط الآلهة الأخرى، وعقابهم له، وإذا ما كان ذلك.

فما حال هذا الإنسان كعبد مخلوق؟! أمُثاب أم مُعاقب أم جامع للأمرين معًا؟!





لا شك أن ذلك الأمر محال ولا تقبله الفطرة السوية، وكذلك لا يقبلها العقل السليم الذي خلقه الله تعالى لنا، لنصل به إلى الحق اليقين، لا إلى الوهم والظنون.

إن صاحب الفطرة السوية والعقل السليم لا يقبل إلا وأن يكون هذا الإله الخالق واحدًا، فردًا، صمدًا، لا شريك ولا ندَّ له، مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

يعني: أن ذلك الرجل العبد الذي يملكه شركاء متنازعون ومختلفون في أهوائهم ومطالبهم وأوامرهم، لا يستوي مع هذا الرجل العبد الذي لا يملكه إلا سيده فقط، وهو خالص له، فكان هذا المثل القرآني تشبيهًا لحال المشرك الذي يعبد آلهة أخرى مع

الله تعالى، وحال المؤمن الذي لا يعبد إلا الله تعالى وحده، الذي لا نِدَّ ولا شريك له، فأين ذلك من هذا؟

وأيضا: فإن ما أشرنا إليه، مصداقًا لقول الله تعالى:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

أي أنه: إذا كان مع الله آلهة أخرى لفسدت السموات والأرض، لاختلافهم وتنازعهم، ومن ثم اختلاف أوامرهم وتكاليفهم، وتضاربها وتناقضها كما أشرنا.

ونشير إلى:

أن الآية الكريمة لم تقل لو كان فيهما إلهان، لأن الفَرض المقدر هو آلهة كثيرة تُعْبَد مع الله، كما كان واقع المشركين.

نخلص من ذلك:

أنه من المحال فطريًّا وعقليًّا أن يكون للكون إلهان أو أكثر.

لذلك: فإن خالق هذا الكون وما به من مخلوقات وموجودات هو الله سبحانه وتعالى وحده، الخالق لكل شيء، فلا ندَّ ولا شريك له.



جـ- قول الله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

إن هذه الآية الكريمة حُجَّة على من أنكر وحدانية الله تعالى، حيث قامت بمخاطبة العقل البشري استدلالا بما فُطِرت عليه النفس، دون عمل فكري مُعقّد.

فهذه الآية الكريمة: قد نَفَت أن يكون لله ولد، حيث لا يُتقرب إليه بعبادة ذلك الولد، وفي هذا نَفْي لتأليه الوسائط بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده.

ثم نفت هذه الآية الكريمة أن يكون هناك آلهة أخرى تُعبد على سبيل الشركة مع الله تعالى؛ لأنه لو كان هناك من يستحق العبادة معه لكان لا يخلو من احتمالين:

الاحتمال الأول:

إما أن يكون كل إله قادرًا، فيتحقق بذلك الفرض الأول، وهو قوله تعالى: ﴿إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، ومعلوم أن ذلك لم يحدث، وبما أنه لم يحدث، فإن ذلك يدل على أن الخالق إنما هو إله واحد.

الاحتمال الثاني:

أن يكون أحدهم قادرًا دون الآخرين، أي أن يكون أحدهم قادرًا وغيره عاجز، وهنا يصدق الفرض الثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ ومعلوم أن ذلك لم يقع، فدل هذا على امتناع وجود إله قادر وآخر عاجز.

أي أنه لا يوجد إلا إله واحد، له طلاقة القدرة.

ولو فُرِض وجود إله قادر وآخر عاجز، لكان الإله القادر هو الإله دون بقية الآلهة، ولكن فرض آلهة أخرى مع الله سبحانه وتعالى مستحيل.

فالله سبحانه وتعالى هو الإله الواحد الأحد، الذي لا شريك له ولا نِدَّ له.

د- قول الله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

هذه الآية الكريمة بما فيها من ألفاظ موجزة: إشارة إلى أزلية الله سبحانه وتعالى، وتنزيهه جل وعلا عن اتخاذ الولد، فكما أنه سبحانه وتعالى لم يُولد من شيء قبل، فهو جل وعلا لم يلد شيئًا، فلا حاجة له سبحانه وتعالى بذلك.





فالله سبحانه وتعالى هو الأول الذي ليس قبله شيء، فكان الله تعالى ولا أحد سواه، فلم يلد ولم يولد؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وهذا مُحال في صفات الله جل وعلا.

ولنتساءل مُفترضين وجود آلهة أخرى مع الله تعالى:

- من الذي أوجدهم جميعًا؟ حيث إنه لا بد من واجد لهم.

- هل من العدم، من لا شيء؟ مُستحيل، إن العدم لا يُوجِد شيئًا، لأنه معدوم.

إذن، فلا بد من واجد لهم –إله آخر– له من المقدرة ما يفوق مقدرتهم جميعًا.

إذن: فمن الذي أوجد هذا الإله الذي أوجد غيره من الآلهة؟

فإذا قلنا: إن الذي أوجد هذا الإله السابق إله آخر يملك من المقدرة ما يفوقه، وإذا استمررنا في مثل ذلك التساؤل، فإن ذلك يقودنا إلى تسلسل لا نهائي من نفس تلك التساؤلات ومن مثل تلك الأجوبة.

وذلك أمر يستحيل أن تقبله فطرة سوية أو عقل سليم.

وأيضًا فإن مثل تلك الآلهة المزعومة المفترضة تكون مخلوقة، مُلزمة بطاعة وعبادة من خلقها... وهكذا.

إذن: لا بد وأن يكون الإله إلهًا واحدًا فقط، ليس لأحد سواه القدرة على الخلق، وأنه يملك من طلاقة القدرة على أن يخلق من العدم، ولا بد وأن يكون الإله الخالق متصفًا بصفة الحياة الأزلية والأبدية، أن يكون دائمًا في وجوده، باقيًا حيًّا

بذاته على الدوام، لا تأخذه سِنة –غفلة– ولا نوم، ولم يُولَد من شيء، قائمًا بنفسه وغير مُفتقِر إلى غيره أو إلى شيء يُوجده، فهو سبحانه وتعالى الدائم الباقي بذاته على الدوام.

ولما أشرنا إليه:

فإن الإجابة للتساؤل الخاص بهذا الفصل الذي طرحناه في البداية:

- أنه لا يمكن أن يكون لهذا الكون إلهين أو أكثر، وأن الله سبحانه وتعالى وحده هو الإله الخالق لهذا الكون المنظور بما فيه من مخلوقات وموجودات، وهو سبحانه وتعالى وحده الخالق لكل شيء.





هل يُشترط للإيمان بالإله الخالق سبحانه وتعالى رؤيته عيانًا؟

وهل عدم رؤيته دليل على عدم وجوده؟!

إن الدليل الحِسي المباشر دليل مقبول عند كافة العقلاء، وله في الدين مكانة كبيرة، لكن الأدلة العلمية ليست محصورة في هذا الدليل، بل إن الإصرار على عدم قبول أي دليل آخر غير هذا الدليل الحسيّ المباشر هو نفسه من علامات عدم العقلانية.

ولو أن العلماء الطبيعيين من فيزيائيين وكيميائيين وأحيائيين وغيرهم، وسائر العقلاء لم يقبلوا دليلا غير هذا الدليل لما تقدم علم من العلوم، بل ولا قامت له قائمة.

لقد ثبت لدينا بكافة أنواع الأدلة (من أدلة فِطرية وحِسية وعقلية وعلمية..) وجود الإله الخالق ووحدانيته، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

ونضيف إلى ما أثبتناه سابقًا ما يُجيب علميًّا على مثل ذلك التساؤل الذي قد ابتدئ به كعنوان لهذا الفصل:

- إن قانون الجاذبية لا يمكن ملاحظته قطعيًّا، وكل ما شاهده العلماء لا يُمثل في ذاته قانون الجاذبية، وإنما هي أشياء أخرى اضطروا لأجلها أن يؤمنوا بوجود هذا القانون، واليوم فإن قانون الجاذبية يلقى قبولا عاما، وهو الذي كشف عنه نيوتن لأول مرة، وأصبح هذا القانون حقيقة علمية، لماذا؟

ذلك لأن قانون الجاذبية يفسر لنا بعض ملاحظاتنا.

إذن: فليس بلازم أن الحقيقة هي ما علمناه مباشرة بالتجربة.

فالجاذبية لم تُر ولم تَشاهد عيانًا، ومع ذلك فهي حقيقة علمية، لا يمكن لأحد إنكارها لعدم رؤيتها ومشاهدتها.

فما بال الملحدين المنكرين لوجود الإله الخالق سبحانه وتعالى يشترطون رؤية الله تعالى للإيمان به، ويقولون بأن عدم رؤيته دليل على عدم وجوده!!

فما بالهم يناقضون أنفسهم؟!

وما بالهم يتناقضون مع مبادئ العلم الحديث؟!





وهذا مع عظيم الفارق بين الإله الخالق لكافة المخلوقات والموجودات، وبين غيره من عبد مخلوق ضعيف.

فإذا عجز الإنسان عن رؤية مثل الجاذبية وهي من بديع صنع الله تعالى، فهل يستطيع أن يرى الإله الخالق له وللجاذبية ولغيرها من كافة المخلوقات والموجودات؟

وقياسًا على ما ذكرناه علميًّا كمثال لتوضيح أن الحقيقة ليست محصورة في الدليل الحسي المباشر، وغير مُقتصرة عليه، نضرب هذه الأمثلة البينة، لكل من له فطرة سوية وعقل سليم –وإن لم يكن عالما فيزيائيًّا أو غيره– وذلك لتأكيد ما ذكرناه:

أ– اللبن والزُّبد:

معلوم لكل كبير وصغير، مُتعلم وغير مُتعلم، أن اللبن يُستخرج منه الزبد.

فهل يمكن أن نرى الزُّبد المستخرج من اللبن حين حَلْب اللبن ودَرِّه، وهو على حالته الطبيعية السائلة؟! بالطبع: لا.

فهل يمكن من هذا اللبن وهو على حالته الطبيعية، حين حَلْبِه ودرِّه، أن نستخرج منه الزبد؟! بالطبع: كلا، حيث إن اللبن لا بد وأن يمر بعدة مراحل قبل إتمام هذه العملية.

فإذا كنا لا نستطيع أن نرى الزبد في اللبن، وهو بين أيدينا –في حالته الطبيعية السائلة– ولا نستطيع أن نستخرجه منه آنذاك، فهل نستطيع أن نرى هذا الإله الخالق لنا والخالق لكافة المخلوقات والموجودات؟!

الجواب المؤكد: الذي لا بديل له ولا حياد عنه: كلا.

ب– العقل:

لقد منحنا الله سبحانه وتعالى هذا العقل لنتفكر به في عظيم آياته الدالة على وجوده سبحانه وتعالى، وعلى وحدانيته، ومن ثم التعرف على عظيم صفاته جل وعلا، ومن ثَمَّ التذكر بعظيم نعمته تبارك وتعالى علينا، ومن ثم إفراده عز وجل بالعبادة وحده، حيث لا نِدَّ ولا شريك له.

فالعقل السوي لا ينكر أيًّا مما ذكرناه.

وبالعقل السليم تحصل التذكرة والانتفاع بالموعظة، فلا يستطيع أحد أن ينكر وجود هذا العقل الذي نُفكر به.



ونتساءل مثلما تساءلنا من قبل:

هل يستطيع أحد من الملحدين أو المنكرين لوجود الله تعالى أن يرى عقله الذي يُفكر به ويتفلسف به؟! بالطبع: لا.

فهل يمكن إنكار وجود العقل لعدم رؤيتنا له؟! بالطبع: لا.

إذن: فلا يُعدُّ رؤية العقل شرطًا للاعتراف والتصديق بوجوده.

ولكن: لماذا يشترط مثل هؤلاء الملحدين رؤية الله تعالى للإيمان به، ويقولون بأن عدم رؤيته دليل على عدم وجوده؟!

الجواب: لا شك أن الدافع وراء مثل ذلك الاشتراط هو الغرور والكبر عن الخضوع للحق، واتباعهم لهوى النفس وشهواتها، وسوف ينالون من الله عز وجل ما يستحقونه جراء ذلك الافتراء والكبر.

جـ- الروح:

لقد منحنا الله تبارك وتعالى هذه الروح لنحيا بها وفقا للحياة التي أرادها الله عز وجل لنا، والالتزام بالضوابط التي قد بيَّنها جل وعلا لنا على ألسنة أنبيائه ورسله، وفي الكتب التي أنزلها عليهم، إلى أن يأذن سبحانه وتعالى بقبض أرواحنا.

ولا أحد يستطيع أن ينكر وجود هذه الروح التي في نفسه وبين جنبيه.

وللتوضيح: نُوجِّه مثل هذه التساؤلات -مثلما تساءلنا من قبل- لذلك الملحد الجاحد لوجود إلهه وخالقه، ونقول:

- هل تعتقد أن فيك روحًا؟

فيقول: بالطبع نعم.

- هل رأيت هذه الروح؟

فيقول: بالتأكيد لا.

- هل عدم رؤيتك لروحك تجعلك تنكر وتجحد وجودها؟!

- فيقول: لا.





فإذا كنت لا تُنكر هذه الروح مع أنك لا تستطيع أن ترى روحك التي هي في نفسك، وبين جنبيك، فما بالك تنكر وجود هذا الإله الخالق جل وعلا لعدم رؤيتك له، حيث تتوهم ظنًّا لا يُغني من الحق شيئًا، ومع ذلك تستند إليه؟

وما بالك تحاول أن تقنع نفسك مُخادعة بغير المعقول من الأوهام والظنون الكاذبة؟!

ولا شك من وجود الفارق العظيم بين الإله الخالق العظيم وبين روح العبد المخلوق الصغير.

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل لنا الكثير والكثير من الآيات البالغات، البيِّنات التي تشهد بوجوده جل وعلا ووحدانيته وعظيم صفاته وطلاقة قدرته.

لذلك: فإنه لا يُشترط للإيمان بهذا الإله الخالق العظيم أن نراه عيانًا، حيث إن ليس في عدم رؤيته دليل على عدم وجوده.





صفات الإله الخالق فى الإسلام

لقد ثبت لدينا بيقين وحدانية الإله سبحانه وتعالى، الخالق لهذا الكون المشهود بما فيه من مخلوقات وموجودات، والخالق لكل شيء كما أشرنا سابقًا، حيث إنه من المستحيل وجود أي من آلهة أخرى مع الله عز وجل.

وتبعًا لما قد أوضحناه من وحدانية الله سبحانه وتعالى، فإنه يلزمنا الإيمان والتصديق بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور...

وهذا هو ما يُسمى بتوحيد الربوبية لله عز وجل، حيث إنه لا رب سواه جل وعلا.

وننوه إلى:

إذا ما أقررنا بتوحيد الربوبية لله عز وجل، فإنه يلزمنا إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة وحده، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله تعالى أو شريكًا، يعبده أو يتقرب إليه بتقديم القرابين أو غيرها، حيث إن الله سبحانه وتعالى هو المستحق بالعبادة وحده دون غيره، وهذا هو ما يُسمى بتوحيد الألوهية.

وتمهيدًا لتوضيح صفات الإله الخالق، نُشير إلى:

أن الإنسان بفطرته يؤمن بربه، وأن غريزته الفطرية قد جُبلت على الإيمان بوجود الله عز وجل، والإيمان بحسن صفاته وعظيم قدرته، حيث إن الفطرة السوية تتطلع دائمًا إلى إله خالق قادر عليم حكيم... إلى غير ذلك من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى.ولقد وهبنا الله سبحانه وتعالى نعمة العقل، وميَّزنا وفضَّلنا به عن كثير من خلقه، لنصل به في التعرف على عظيم قدرته وحكمته... إلى خير مقام وأعلى درجة ومنزلة تليق بعظمته جل وعلا.

فالإنسان مع كونه مخلوق، فإنه يُحكِم ويُعمِل عقله، ويسعى جاهدًا للوصول به إلى ما هو الأحسن والأفضل من صفات وغيرها بالنسبة له وفي كل شيء.

فإذا ما امتدح شخص ما ذا جاه وسلطان بحسن خلقه، وجميل صفاته –افتراضًا– فإننا نصل بعقولنا وتصوراتنا إلى وضع هذا الشخص في أحسن تصور ممكن وأفضل منزلة.

وكذلك إذا ما وصف بناء ما بعلوه وشموخه، وجماله، وحسن أساسه وصفاته –افتراضًا– فإننا نصل بعقولنا وتصوراتنا إلى وضع هذا المبنى في أحسن تصور يمكن تخيُّله.





فإذا كان ما أشرنا إليه من حسن التصور هو في شأن عبد مخلوق أوفي شأن ما هو مصنوع موجود، فما بالنا بالإله الخاق الواحد؟!

أفلا نصل بهذه النعمة العظيمة –العقل– التي وهبنا الله تبارك وتعالى إياها إلى أن نُعظم الله عز وجل حق التعظيم، وأن نُنَزِّه هذا الإله العظيم، الخالق لنا والواجد لكل شيء، عن ما لا يليق به سبحانه وتعالى من صفات نقص، وعيب، وذم، مما قد يُنسَب إليه من افتراءات النصارى، وكَذِب اليهود، وغيرهما من الأمم السابقة، والفِرَق الباطلة المعاصرة؟! وأن نقر بعظيم قدرته وكمال حكمته، وحسن خلقه... لِما قد خلق لنا من الآيات والشواهد الدالة على ذلك؟!

لقد جاء رسول الله محمد ﷺ بالإسلام دينا وشريعة من الله تبارك وتعالى، مُتضمنًا الاعتقاد والتصور السليم في الله سبحانه وتعالى، اعتقادًا وتصورًا ترتضيه الفِطر السوية والنفوس الزكية، اعتقادًا وتصورًا ليس فيه إعنات للعقل أو قهر للذهن، اعتقادًا وتصورًا يقبله كل عقل سليم.

لقد جاء رسول الله محمد ﷺ بما فيه التعظيم للرب جل وعلا من توحيد للربوبية والألوهية وتوحيد للأسماء والصفات، كما أشرنا سابقًا.

وقد جاء رسول الله ﷺ بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به من أفعال وأقوال وصفات، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن ما نُسِب إليه من قدح وعيب، ونقص وذمٍ.

لقد جاء رسول الله محمد ﷺ بالقرآن الكريم مُتضمنًا لقول الله تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

حيث إن صفات الله تعالى الخالق ليست كصفات عباده المخلوقين.

فقد بلغت صفات الله عز وجل الغاية والكمال المطلق في حسنها وجمالها، وذاتها ودلالاتها.

فالله سبحانه وتعالى أول ليس قبله شيء، متصف بصفات الكمال قبل كل شيء، فأسماؤه وصفاته جل وعلا أزلية أبدية.





وكما أنه سبحانه وتعالى في ذاته أول بلا ابتداء، فكذلك أسماؤه وصفاته تابعة لذاته جل وعلا، فهي أولية بأولية الله تعالى بلا ابتداء، وكذلك فإنه سبحانه وتعالى لا يكتسب صفة جديدة لم تكن له، ولا يفقد صفة كانت له.

لقد جاء رسول الله ﷺ بقول الله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

فالله سبحانه وتعالى هو الإله الواحد الأحد، المنفرد الذي لا مثيل له، فلا يستوي مع سائر خلقه، ولا يسري عليه قانون أو قياس أو قواعد تحكمه كما تحكمهم، وهو سبحانه وتعالى الصمد: السيد المطاع، الذي يُقصد إليه في الحوائج على الدوام، ولم يتخذ الله سبحانه وتعالى أيا من ولد، فهو جل شأنه لم يلد ولم يولد، وهو الخالق، الغني عن اتخاذ ولد.

وهو سبحانه وتعالى ليس له مكافئ أو مماثل، فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.

وهناك صفات لله سبحانه وتعالى، ووددنا أن نشير إليها مُفصَّلة في غير إجمال، وذلك نظرًا لأهميتها، وما قد يتلبَّس على البعض عند معرفته بها، ومن هذه الصفات:

١- صفة الخالقية نفسها:

حيث إن الله عز وجل هو الذي أوجد جميع الأشياء بعد أن لم تكن موجودة، وقدّر أمورها في الأزل بعد أن كانت معدومة.

فالله سبحانه وتعالى هو الخالق الذي يُنشئ من العدم بتقدير وعلم، ثم بتصنيع وخلق عن قدرة وغنى، مصداقًا لقوله تعالى:

٢- صفتا الأزلية والأبدية:

فالله سبحانه وتعالى سابق في وجوده لكل موجود سواه، وهو جل وعلا الباقي بعد زوال كل مخلوق زائل، وهو سبحانه وتعالى الأول الذي لم يسبقه في الوجود شيء،وهو الذي عَلا بذاته وشأنه فوق كل شيء، ولا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو المستغني بنفسه عن كل شيء.

فكون الله سبحانه وتعالى أزليًّا لا بد وأن يكون قائمًا بنفسه، مستقلا عن غيره.

وهو سبحانه وتعالى المتصف بالبقاء والآخرية، فهو جل وعلا الباقي بعد فناء الخلق.

وهنا سؤال يطرح نفسه:





عن كيفية الجمع بين وصف الله عز وجل بأنه الآخر الباقي، الذي ليس بعده شيء، وبين بقاء المخلوقات في الجنة ودوامها وأبديتها ؟

الجواب: أن الجنة مثلا باقية بإبقاء الله عز وجل لها، وما يتجدد فيها من نعيم مُتوقف في وجوده على مشيئة الله جل وعلا.

أما ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته فباقية ببقائه.

وشتَّان الفارق بين ما يبقى ببقاء الله سبحانه وتعالى، وبين ما يبقى بإبقائه جل وعلا له.

فالجنة مخلوقة، حيث خلقها الله عز وجل، وكائنة بأمره، وهي رهن مشيئته وحكمته.

فخلود الجنة وأهلها إلى ما لا نهاية إنما هو بإبقاء الله جل وعلا وإرادته، فالبقاء والخلود ليس من خصائص المخلوقات ولا من خصائصها الذاتية، بل إن من طبيعتها جميعًا الفناء.

والخلود لا يكون لذات المخلوق أو طبيعته، وإنما هو بمددٍ دائم من الله تعالى وإبقاء مستمر منهجل وعلا لا ينقطع.

٣- صفة العلم:

فالله عز وجل من صفاته أنه عليم بما كان وما هو كائن وما سيكون، حيث إنه جل وعلا لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، سبحانه أحاط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، فيعلم بالشيء قبل كونه.

فالله عز وجل عالم بما كان وما هو كائن وما سيكون، وما لو كان كيف يكون على ما اقتضته حكمته البالغة .

إن علم سبحانه وتعالى يُوصف بالعلم الشمولي، حيث يسع ويشمل علمه جل وعلا كل شيء.وشتَّان الفارق بين علم الإله الأزلي الأبدي الخالق وبين علم العبد الفاني المخلوق، فعلم الله جل وعلا هو العلم الواسع الكامل الذي لا يسبقه جهل، بينما علم المخلوق الضيق المحدود مُسبق بالجهل.

٤- صفة القدرة:

فالله عز وجل من صفاته أنه قادر على كل شيء وهذا المعنى قد دلَّ عليه اسمه (المقتدر) الذي ورد في الآية الكريمة الأولى.





وهو سبحانه وتعالى المقتدر المحيط بالشيء إحاطة تامة، والمتمكن منه بقوة، والمسيطر عليه بإحكام كامل وقدرة، فلا يمتنع عليه شيء.

– إن قدرة الله عز وجل توصف بالقدرة المطلقة، وهي التي ليست لأحد سواه جل وعلا، فالله سبحانه وتعالى هو الإله الأزلي الأبدي، الخالق لكل شيء.

٥– صفة الملك:

إن الله عز وجل هو المالك لكل شيء، المالك لعالم الغيب والشهادة، فالله سبحانه وتعالى هو المالك على سبيل الإطلاق أزلًا وأبدًا.

فالله عز وجل هو الملك الذي له الأمر والنهي في ملكه، والذي يتصرف في خلقه بأمره وفعله، فليس لأحد عليه فضل في قيام ملكه.

فهو جل وعلا يفعل ما يشاء وما يُريد وفقًا لما اقتضته حكمته البالغة التامة.

فالله عز وجل هو الملك الحق الدائم، فلا خالق للكون غيره، ولا مُدبِّر له سواه جل وعلا.

٦– الاستواء:

وعلينا أن نعلم قبل أي شيء أن استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه لا يُماثله استواء المخلوق على الشيء، فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء.

وعلينا أن نعلم: أن العرش هو أعظم مخلوقات الله جل وعلا، ولقد مجَّد الله عز وجل نفسه وامتدحها باستوائه على العرش وأنه رب العرش.

واستواء الله سبحانه وتعالى على العرش يعني: أنه عز وجل علا عُلوًا خاصًّا يليق بجلالته وعظمته، وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة.

فالله سبحانه وتعالى عالٍ على عرشه علوًا يليق به عز وجل، ولا يشبهه علو الإنسان على سريره أو على الفلك أو غير ذلك.

فالله سبحانه وتعالى هو الأزلي الأبدي، الواجد لكل شيء، والخالق لكل مخلوق.

فالمكان والزمان: أوجدهما الله عز وجل لخلقه بعد أن خلقهم من العدم، فهو سبحانه وتعالى فعال لما يريد، وفقًا لحكمته التامة البالغة، وهو سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، وليس كمثله شيء.





فالمكان والزمان هما من خَلْق الله عز وجل.

لذلك، فإن الله سبحانه وتعالى لا يحيط به مكان، ولا يُفنيه انتهاء زمان.

فقبل أن يوجد المكان والزمان لم يكن إلا الإله الخالق سبحانه وتعالى.

لذلك فإن علو الله سبحانه وتعالى فوق خلقه وفوق سمائه التي خلقها، إنما هو علو ذات ومكانة وشرف وقهر، في إحاطة لهم.

ونمثل هذا عقليًّا: بما ضربه الإمام أحمد بن حنبل –كمثال افتراضي– فقال رحمه الله:

لو أن رجلًا كان في يديه قدح من قوارير صافٍ، وفيه شراب صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله –وله المثل الأعلى– قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

فالله تعالى –وله المثل الأعلى– قد أحاط بجميع خلقه، وعلم سرهم وعلانيتهم.

كان ذلك تمثيلا عقليًّا لما قد ذكرنا من أجل تقريب المعنى في الأذهان، وهو الذي يقبله الصريح السليم.

ولنتأمل هذا القدر العظيم من تعظيم المسلمين لهذا الإله الخالق العظيم في الشريعة الخاتمة التي جاء بها النبي محمد ﷺ، مُنزها له جل وعلا في ذاته وصفاته وأسمائه.

وكم يبلغ توافق تعظيم المسلمين لله تعالى مع الفطرة السوية التي فُطِر الإنسان عليها من إلهه وخالقه.

وكم يبلغ توافق تعظيم المسلمين لله تعالى مع العقل السليم الصريح الذي منحه الله تبارك وتعالى للإنسان ليتعرف به على عظيم صفاته جل وعلا ويشهد بها، فلا يقبل أو يرضى ما يَعيبُها أو ينقص من قدرها وشأنها.

فلم يُعَظَّم الله جل وعلا حق التعظيم إلا في شريعة الإسلام التي جاء بها النبي محمد ﷺ، وسوف نُدلِّل على ذلك بمشيئة الله تعالى عن طريق توضيح بعض مما قد نسبته أهل الأديان الباطلة، وأهل الرسالات السابقة بعد تحريفها –النصرانية واليهودية– من صفات مَعِيبة مذمومة للإله الخالق جل وعلا.





دلائل عظيمة على طلاقة قدرة الله عز وجل
ومن ثم كمال وشمولية علمه وتمام حكمته
وعظيم صفاته وأفعاله

يقول الله تعالى في كتابه الحكيم –القرآن الكريم– الذى أنزله عل خاتم أنبياءه ومرسليه محمدﷺ واصفًا إرادته وقدرته جل وعلا :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢].

أي أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا، فإنما يأمر أمرًا واحدًا، فلا يحتاج إلى أن يُكرر أمره أو أن يؤكده.

فهو سبحانه وتعالى بيده مقاليد السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله، وله الخلق والأمر.

والآيات الدالة على قدرة الله عز وجل وطلاقتها أكثر من أن تحصى، كخلقه جل وعلا للسماوات والأرض والكون وما به من مجرات ونجوم وكواكب بما فيها الأرض.

وأيضًا من عظيم الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل وطلاقتها، التوازن العجيب والتناسق البديع للكون بما فيه، وكذلك التناسب الذي يصل إلى حد لا يمكن تصوره.

وأيضًا من عظيم الآيات الدالة على قدرة الله عز وجل وطلاقتها: خلقه جل وعلا للإنسان بما فيه من نعم عظيمة لا تعد ولا تحصى... إلى غير ذلك.

مما يوضح عظيم حكمة الله عز وجل وقدرته، وما قد اكتشفه العلم الحديث بأحدث الأجهزة العلمية من هذا التوازن والتناسب بين أجزاء الكون، وأيضًا في مكونات الإنسان والكائنات الحية يؤكد عظيم قدرة الله جل وعلا وجليل حكمته وبديع صنعته.

لكننا نود أن نشير إلى جوانب ودلائل أخرى توضح طلاقة قدرة الله عز وجل وعظيم صفاته وأفعاله، منها:

١– الفطرة السوية النقية والعقل السليم الصريح:

لقد خلق الله عز وجل الإنسان وفَطَره على الإيمان بوجوده وعظيم قدرته وجميل صفاته. فنجد أن الإنسان إذا ما نزلت به نازلة أو كارثة، فإنه سرعان ما يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء





مرارًا وتكرارًا علمًا من هذا الإنسان بوجود ربه تبارك وتعالى وإيمانًا به، وبعظيم قدرته، وأنه سبحانه وتعالى هو القادر وحده على أن يرفع جميع ما نزل به من المصائب والكوارث لطلاقة قدرته جل وعلا وعظيم رحمته.

والعقل السليم الصريح لا يقبل إنكار وجود الله تعالى أو عظيم صفاته أو طلاقة قدرته.

فالإنسان إذا ما نظر في نفسه وتأمل في تركيب جسمه، لا سيما بعد التقدم العلمي الهائل في الطب وفي شتى المجالات وتطور أجهزته العلمية إلى درجة كبيرة، لعلم -الإنسان- عظيم حكمة الله سبحانه وتعالى، وطلاقة قدرته وكمالها وبديع وعجيب صنعته.

فما بالنا إذا نظر الإنسان وتأمل في ملكوت الله عز وجل الواسع، من سماوات وأراضين -حيث إن العلم قد اكتشف أن الأرض مقسمة إلى سبع طبقات- ومجرات ونجوم ومخلوقات حية -كالحيوانات والطيور- وأخرى غير حية، ليست ذات روح -كالأشجار والنباتات والجمادات- لا سيما بعد تقدم التلسكوبات والمجاهر الإلكترونية، لَشاهد بعينيه عظيم وطلاقة قدرة الله سبحانه وتعالى.

لذلك فإن الفطرة السوية النقية والعقل السليم الصريح، الراجح الرشيد من الدلائل العظيمة على طلاقة قدرة الله عز وجل وعظيم صفاته وأفعاله.

٢- دعوة الأنبياء والرسل، وتأييدها بالمعجزات والخوارق دلالة وشهادة بصدق ما أخبرت به:

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء والمرسلين لدعوة الناس إلى الإيمان به جل وعلا وإلى الإيمان بعظيم صفاته وطلاقة قدرته وجليل حكمته وكمالها وشمولية علمه سبحانه وتعالى، ومن ثم إفراده عز وجل بالعبادة وحده دون أن يُشرك به شيئًا.

ولقد أيَّد الله عز وجل أنبياءه ورسله بما يشهد بصدق ما دعت إليه من وحدانية الله جل وعلا، وصدق ما أخبرت به من عظيم صفاته وطلاقة قدرته، من المعجزات والخوارق التي يعجز عن الإتيان بمثلها غير الأنبياء والمرسلين.

ومن أمثلة هذه المعجزات ما كان للنبي محمد ﷺ مثل:





- انشقاق القمر له ﷺ، كآية من الله تعالى له وشاهد على مصداقية رسالته ، وبمشيئة الله تعالى سوف نتعرض لهذه المعجزة بصفة خاصّة في نقطة تالية.

٣- أزلية الله سبحانه وتعالى وأبديته:

إن الله سبحانه وتعالى لم يولد، لذلك فهو جل شأنه مُنزَّه عن أن يتخذ صاحبة أو ولدًا.

وهو سبحانه وتعالى الخالق من عدم، يخلق ما يشاء وفقًا لما يُريد ويشاء، ولِما تقتضيه حكمته سبحانه وتعالى.

فلِمَ يكون اتخاذه جل وعلا ولدًا أو أكثر من البشر أو غيرهم كما يفتري الكاذبون؟!

إن الله عز وجل مُنزَّه عن مثل ذلك، فهو جل وعلا الأول الذي ليس قبله شيء.

وقد ثبت لدينا بالأدلة الدامغة فطريًّا وعقليًّا وعلميًّا وغير ذلك كما أشرنا سابقًا.

وإذا ما نظر الإنسان بعقله في نفسه كمخلوق، فإنه يكون على يقين من أمر ولادته، وأنه مولود، وأن أبويه كانا سببًا في وجوده، وأنه لم يكن من قبل شيئًا، وأن والدا أبويه -جداه- كانا سببًا في وجود أبويه، وهكذا إلى أن يصل إلى وجود الخالق الأزلي الذي لم يُولد، والذي أوجد الإنسان في بداية خلقه من العدم بعظيم وطلاقة

قدرته، لذا فإن الإنسان دومًا ينظر إلى الأشياء والموجودات من حوله وهو على يقين من أنه لا بد من سبب في وجودها، وأنها كانت في بداية الأمر عَدَمًا، كما كان هو، ومن ثَمَّ يستلزم ذلك وجود واجِد أزلي لم يوجده أحد من قبل، وهذا الواجد هو الذي أوجدها -الأشياء والموجودات- من العدم بعظيم وطلاقة قدرته، وهذا الواجد هو الإله الخالق، الله سبحانه وتعالى.

ويُستنتج من ذلك كله: أن الإله الخالق لا بد وأن يكون أبدي، أي: حي، دائم باقٍ، لا يموت ولا يفنى ولا ينتهي.

لذلك، فإن ثبوت أزلية سبحانه وتعالى بكافة البراهين والأدلة فطريًّا وعقليًّا وعلميًّا.. دليل وبرهان لكل لبيب وعاقل على طلاقة قدرة الله عز وجل، هذا وإن كان عقله يعجزه عن إدراك كيفية هذه القدرة المطلقة لله سبحانه وتعالى؛ لأن الإنسان نفسه موجود مخلوق، أوجده الله الخالق جل وعلا من العدم.



لذا، فإن عقله محدود، له إمكانية محدودة، يعجز عن إدراك ما فوقها.

ونضرب لذلك مثالا بسيطًا لتوضيح ذلك:

هل يمكن أن نضع في كوب ماء صغير ما يُعادل كوبين من حجمه؟!

بالطبع: لا.

فإذا كان هذا الكوب الصغير من الماء لا يستوعب كوبًا آخر مثله، فهل يمكن أن يستوعب ما على الأرض من مياه أنهار وبحار ومحيطات ومِدادٍ من أمثلتها جميعًا إلى ما لا نهاية؟!!

بالتأكيد: كلا، لا يمكن ذلك.

فذلك مَثلُ العقل المحدود، المشبه بكوب الماء الصغير المحدود، لا يمكنه إدراك كيفية طلاقة قدرة الإله الخالق جل وعلا.

وبما أن الحديث قد تطرق بنا إلى الماء –كمثال– ،فلنتبين من خلاله على عظيم صفات الإله الخالق جل وعلا وطلاقة قدرته، وذلك عن طريق النظر إلى مكوناته عبر ما توصل إليه العلم الحديث،كما على النحو التالى:

جزىء الماء:– فنجد أن الجزىء الواحد من الماء يتكون من ذرتين من الهيدروجين متحدتين مع ذرة من الأوكسجين، ومن العجيب فى هذا الأمر :

أن الهيدروجين –أحد مكونا جزىء الماء– هو غاز مشتعل يسبب الحريق وإشعال النار، وأن الأوكسجين – المكون الآخر لجزىء الماء–هو غاز يساعد على اشتعال النار، ولكن ماينتج عنهما معا هو الماء الذى من صفاته التى أودعها الله تعالى فيه:إطفاء هذه النار.

فسبحان الإله الخالق جل وعلا ،المتفرد بعظيم الصفات وطلاقة القدرة.

٤– خلق الله سبحانه وتعالى للروح:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الروح، وأودعها الإنسان وغيره من المخلوقات إلى أجل مسمى، إلى أن يتوفاه الله عز وجل بقبض وأخذ روحه، لأن الله جل وعلا قد كتب عليه – الإنسان– وعلى غيره من الأحياء الموت والفناء.



ثم يَرُدُّ الله تعالى على الإنسان روحه وإلى غيره من الأحياء (كالحيوانات والطيور ليُوفيه حسابه وجزاءه، وكذلك غيره، وذلك في يوم الحساب (الدار الآخرة الباقية).

فإن كان مؤمنًا صالحًا، فإلى جنته تبارك وتعالى ودار نعيمه والفوز برضائه.

وإن كان كافرًا، مشركًا، مُلحدًا، فاسقًا... فإلى النار ودار الشقاء لسخطه جل وعلا عليه.

ولقد خلق الله عز وجل الروح وجعلها سببًا في حياة الإنسان وغيره من الأحياء، فهو جل وعلا مُسبب الأسباب وخالقها، وذلك لحكم عظيمة وجليلة يعلمها جل وعلا.

وإذا أمعنا النظر وتأملنا في هذه الروح التي خلقها الله تعالى، وجعلها سببًا في حياة الإنسان وغيره من المخلوقات لَثَبَتَ لدينا بيقين طلاقة قدرة الإله الخالق لها – الروح– وعظيم وبديع خلقه لكل شيء.

فالروح: لم يستطع العلم الحديث دراستها مع كل وسائله التقنية الحديثة، حيث إن أساسيات وبدائيات هذه الدراسة غير متاحة، وليست معلومة، لذلك فإن الروح التي خلقها الله تعالى وأودعها الإنسان، وجعلها سببًا في حياته وحياة غيره من الأحياء هي سر من أسراره جل وعلا في خلقه، وآية على بديع صنعته، ودلالة على عظيم وطلاقة قدرته جل وعلا.

٦– استجابة المؤمنين الصالحين لأوامر الله عز وجل وطاعتهم له :

لقد خلق الله تعالى البشر وأرسل إليهم أنبياءه ورسله لدعوتهم إلى الإيمان بوحدانيته وعظيم صفاته، ومن ثم عبادته جل وعلا وحده، وذلك بعد أن أيدهم –أيَّد أنبياءه ورسله– بالمعجزات والخوارق كدليل على صدق دعوتهم.

وبالفعل: نجد أن من يؤمن بدعوة أنبياء الله ورسله – وهم المؤمنون الصادقون– يستجيبون ويمتثلون لكل ما أمر الله عز وجل به، ويسعون في القيام به على الوجه الأمثل، بل ويتبادرون في تنفيذه.

وإذا ما نهى الله عز وجل عن شيء، فإنهم –المؤمنون الصادقون– سرعان ما يجتنبونه، بل ولا يقربونه أو يقربون إلى ما يؤدي إليه.

علمًا بأن الله عز وجل لم يخلق الإنسان مُجبرًا على طاعته أو على معصيته، ولكن خلقه مُخيرًا بين أن يطيعه جل وعلا أو أن يعصيه، هذا مع علمه عز وجل الكامل المسبق لما سوف يختاره الإنسان، ولما سوف يقوم به من طاعته جل وعلا أو عصيانه.





وذلك كله لحكمة من الله سبحانه وتعالى، كما سنشير إليها بمشيئة الله تعالى فيما بعد.

ومع أن الله تعالى قد خلق الإنسان مُخيَّرًا بين الطاعة والمعصية، ولم يُجبره على فعل أي منها، كاختبار وامتحان له — الإنسان– إلا أننا نرى المؤمنين الصادقين والصالحين وكأنهم مُجبرون على طاعة الله عز وجل وتنفيذ أوامره على الوجه الأمثل لسرعة وفورية استجابتهم لأمر الله تعالى والتبادر إلى فعله.

فإذا كان ما نراه هو حال من كان مُخيرًا، وليس بمُجبر، فما بالنا بمن خلقهم الله عز وجل للقيام فقط بطاعته وتنفيذ أوامره، ولا سبيل لهم لأن يهموا بعصيانه!! ونموذج ذلك من الملائكة.

فالملائكة لا عمل لهم إلا عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعته والامتثال له، وتنفيذ كل ما أمر الله تعالى به؛ لذلك، فإن ما نراه رأي العين من حال المؤمنين الصادقين الصالحين، وفورية استجابتهم لله تعالى وأوامره مع تخييرهم، وكذلك ما نعلمه عن الملائكة وإخبار الأنبياء والرسل عن حالهم، لدليل على عظيم قدرة الله عز وجل والتنويع في كيفية خلقه لعباده كيفما يشاء.

وأيضًا: إن في استجابة المؤمنين الصالحين لأوامر الله عز وجل والتبادر إلى تنفيذها، مع تخييرهم وعدم جبرهم لشاهد مرئي على طلاقة قدرة الله تعالى، وأنه جل وعلا إذا ما أمر بأمر، فإن الجميع يتبادر إلى تنفيذ أمره —لا سيما من جبرهم الله تعالى على عبادته وطاعته– وأنه جل وعلا إذا ما أراد شيئًا فإنما يقول له: كن، فيكون.

ونوضح أيضًا: عظيم قدرة الله عز وجل وطلاقتها عن طريق صياغة سؤال افتراضيّ، والإجابة عليه، والسؤال الافتراضي هو:

هل يمكن لهذا الإله الخالق أن يجعل هذا الكون الفسيح أو غيره بما فيه من مخلوقات وموجودات، في بيضة أو ما هو أقل من بيضة؟! هل يقدر على ذلك؟!

ونُجيب على ذلك السؤال: نعم، فإذا أراد الله تعالى شيئًا، فإنما يقول له: كن. فيكون، وندلل على هذه الإجابة علميًّا بما يوضح عظيم قدرة الله جل وعلا وطلاقتها، عن طريق الاستدلال بنموذجين مما قد اكتشفهما العلم الحديث:



أ- الصبغيات (الكروموسومات):

إن جسد الإنسان يحتوي على مئات البلايين من الخلايا، وأغلب هذه الخلايا على قدر كبير من الضآلة، حيث لا يتعدى قطر الواحدة منها (٠.٠٣) ثلاثة من مائة من الملليمتر في المتوسط.

والخلية الحية بناء في غاية الإحكام والتعقيد إلى درجة يعجز العقل البشري عن تصورها، ويراها كل ذي بصيرة شاهدة لخالقها بطلاقة القدرة، وببديع الصنعة وبإحكام الخلق، ويراها نافية نفيًا قاطعًا للعشوائية أو المصادفة.

فنجد أن الخلية لها جسمًا مركزيًّا يُسمى نواة الخلية -عدا بعض الأنواع القليلة من الخلايا، مثل خلايا الدم الحمراء.

ونواة الخلية تمثل العقل المفكر لها، ومركز التحكم فيها، الذي يحمل كل الصفات الوراثية لها وللجسد المنطوية فيه.

وتُحمَل الصفات الوراثية في نواة الخلية على عدد محدد من الصبغيات التي تتآلف من حبيبات السكر الناقص الأوكسجين وجزيئات من الفوسفات والنيتروجين، حيث إن هذه الأزواج مربوطة بعضها ببعض بأربعة قواعد نيتروجينية هي: (آدنين- غوانين- سايتوزين- ثايمين).

وعدد هذه الصبغيات في نواة الخلية يساوي ٤٦ صبغيًّا، مُرتبة في ٢٣ زوجًا، حيث إن نصفها من الحيوان المنوي للرجل والنصف الآخر من بييضة الأنثى، بحيث إذا ما اتحد الحيوان المنوي للرجل مع البييضة للأنثى يصبح عدد الصبغيات يساوي ٤٦ صبغيًّا.

أي أن هناك ٢٣ صبغيًّا في كل بُييضة من بييضات الأنثى، وكذلك في كل حيوان منوي لدى الرجل، وهذه الصبغيات تكون على هيئة حلزونية، ذات لفّ وطيّ شديد، حيث تعرف باسم الرقائق الحلزونية، ويبلغ سمك جدار كل واحدة من هذه الرقائق الحلزونية (واحدا من خمسين مليون من المليمتر).

ويبلغ قطر الحلزون الواحد: واحدًا من نصف مليون من المليمتر.

ويبلغ حجم الحلزون وهو مُكدس على ذاته داخل الجسم الطبيعي: واحدًا من المليون من المليمتر المكعب، وإذا تم فَرْده، فإن طوله يصل إلى أربعة سنتيمترات.

وإذا تم فَرْد هذه الحلزونات (الصبغيات) داخل خلية واحدة من خلايا جسم الإنسان العادية، والتي لا يتعدى قطر الواحدة منها (٠.٠٠٣) من المليمتر، وتم رصها بجوار بعضها البعض، كخيط ممدود، فإن طولها يبلغ حوالي المترين.

وإذا تم ذلك بالنسبة للصبغيات الموجودة في تريليونات الخلايا المكونة بجسم فرد واحد من بني الإنسان، فإن طولها يزيد عدة أضعاف عن طول المسافة بين

الأرض والشمس المقدرة بحوالي مائة وخمسين مليونًا من الكيلومترات، سبحان الإله الخالق!!

إن العقل البشري له حدود، لذلك فإنه يعجز عن تصور ما ذكرناه علميًّا، حيث إن الحيز الذي يحتوي على هذه الصبغيات بصفاتها المكتشفة علميًّا يُعد بالنسبة للعقل البشري منعدمًا، ولكن العلم الحديث قد أثبته ولا مجال لنفيه، حتى وإن لم يتصوره العقل البشري المخلوق المحدود.

وهذا يُعدّ في حد ذاته ردًّا حاسمًا قاصمًا لأهل الإلحاد ومنكري الألوهية الذين ينكرون وجود الإله الخالق لعدم إمكانيتهم رؤيته جل شأنه.

فإذا كانوا لا يستطيعون تصور واستيعاب ما أثبته العلم الحديث بعقلهم المحدود، فهل يمكنهم إنكاره؟!

بالطبع: لا، فما أثبته العلم الحديث لا مجال لنفيه.

وإذا كان العقل البشري عاجزًا عن تصور مثل هذه الأشياء التي بجسده الضعيف المخلوق، فهل يمكنه أن يتصور الإله الخالق، وكيفية وعظيم قدرته وطلاقتها؟!

إن ما أشرنا إليه: يوضح ويؤكد لنا علميًّا عظيم وطلاقة القدرة الإلهية، وأن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء.

ومع ذلك، فإن الإنسان قد فُطر على تعظيم إلهه وخالقه، وأن يصفه بجميل وعظيم الصفات من حيث طلاقة القدرة، وشمولية علمه وكمال حكمته سبحانه وتعالى.

وما أشرنا إليه ووضحناه بالفطرة والعلم يؤكد لنا ذلك، حتى وإن عجز العقل البشري عن تصوره، فما هو إلا عقل محدود.

ب- عالم الذرة:

إن هذا النظام الذي يوجد في العوالم الكبرى، نجده في صورته الكاملة في أصغر عالم عرفناه وهو عالم الذرة.

إن الذرة قد تناهت في صغرها حتى أننا لا يمكن مشاهدتها بالمنظار الذي يُكبر الأشياء ملايين المرات، فهي -بناء على هذا- ليست شيئًا، بل إنها (لا شيء) بالنسبة إلى أدنى ما يستطيع البصر أن يراه.

ومع ذلك: فإن عالم الذرة قد اكتشفه العلم الحديث ولا مجال لنفيه.

والذرة مع ما وصفناها به تحتوي بصورة رائعة على نظام الدوران العجيب الموجود في النظام الشمسي.

فالذرة تحتوي على:

١- النواة: وهي نواة الذرة، وتحتوي هذه النواة للذرة الواحدة، المتناهية جدًّا في الصِّغر على بروتونات موجبة الشحنة، وأيضًا تحتوي على نيوترونات مُتعادلة الشحنة.

٢- الإلكترونات: وهي التي تحمل الشحنة السالبة في عالم الذرة، ولا تتصل ببعضها البعض، بل يوجد بينها فراغ كبير الحجم (نسبيًّا).

وهذه الإلكترونات تدور حول نواة الذرة في اتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة، بسرعة كبيرة جدًّا، حيث يدور الإلكترون حول مداره بلايين المرات في الثانية الواحدة.

والإلكترونات لا تشغل أكثر من ١/ ١.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ من مساحة الذرة، سبحان الإله الخالق العظيم!!

ونكرر ما قد ذكرناه سابقًا للتذكرة والموعظة، ولتمام الفائدة، أنه:

إذا كان العقل البشري عاجزًا عن تصوُّر مثل هذا العالم العجيب، حيث إن الحيز الذي يحتوي على جميع ما ذكرنا، يُعدّ بالنسبة للعقل البشري مُنعدمًا، فما بالنا بمكونات هذا العالم العجيب -عالم الذرة- من نواة وبروتونات متعددة، ونيوترونات متعددة وإلكترونات متعددة، إضافة إلى المسافات الكبيرة (نسبيًّا) بين كل منها، وكل هذا إنما هو في ذرة واحدة مفردة!!



إن العقل البشري له حدود، حيث إنه يعجز عن تصور ما ذكرناه، ولكن العلم الحديث قد اكتشفه ولا سبيل لرفضه وإن لم يستوعبه أو يتصوره العقل البشري المحدود.

بل إن العلم الحديث قد اكتشف ما هو أصغر بكثير من الذرة (الكوارك) وقد يكتشف مستقبلا ما هو أصغر من (الكوارك).

وإذا كان العقل البشري عاجزًا عن تصور مثل هذه الأشياء، فهل يمكنه أن يتصور الإله الخالق العظيم، وكيفية وعظيم قدرته جل وعلا وطلاقتها؟!

بالطبع: لا.

لذلك، فإن ما ذكرناه وأشرنا إليه يوضح ويؤكد لنا علميًّا طلاقة القدرة الإلهية، ومن ثم كمال وشمولية علمه وتمام حكمته وعظيم صفاته وأفعاله، وأن الله سبحانه وتعالى هو القادر وحده على كل شيء، لا سيما إذا علمنا أن هذه المكونات التي تتكون منها الذرة (الإلكترونات والبروتونات والنيوترونات) تتركب وتتكون مما هو أصغر منها، كما أشرنا، حيث إن آخر ما عرفه الفيزيائيون منها هو ما يسمى (الكوارك)، وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].





الإيمان بالأنبياء والرسل

لقد تحدثنا عن الإيمان بالله عز وجل ووحدانيته، وأنه قد ثبت لدينا بشتى أنواع الأدلة والبراهين وجود هذا الإله الخالق لهذا الكون ولكل شيء من عدم، لما له من عظيم الصفات وطلاقة القدرة وشمولية العلم، وقد أشرنا إلى ذلك.

وقد ذكرنا: أنه يترتب على إيماننا بالإله الخالق عز وجل وصفاته ووحدانيته –وهو ما يسمى بتوحيد الربوبية– أن نعبده ونتقرب إليه دون أن نجعل له شريكًا أو ندًّا!

وكان من حكمة الله عز وجل البالغة أن يرسل إلى عباده الأنبياء والمرسلين بالشرع القويم، حتى يتعرف العباد على الصفات العظيمة لإلههم وخالقهم، وكيفية عبادته جل وعلا وتوحيده، والتقرب إليه، والسبيل الذي يوصل إلى رضائه جل وعلا وعدم سخطه.

وهنا تساؤل للتوضيح: بعد ما تبيّن بيقين عظيم قدرة الله تعالى وطلاقتها وكمال علمه وبالغ حكمته ، فمن اللازم لهذا الإله العظيم القدير العليم الحكيم أن يكون على علم مُسبق بأفعال عباده فى المستقبل ومن سوف يؤمن به منهم ويُطيعه ومن سوف يكفر به ويعصيه ، فلماذا يُمهل الله تعالى الكافرين و العاصين فى الدنيا ويُرسل إليهم الأنبياء والرسل على الرغم من أنه قد سبق فى علمه جل وعلا أنهم (الكافرين والعاصين) دون أن يُعاقبهم مباشرة من غير أن يمُدّ لهم فى آجالهم فيكفروا به ويعصوه ؟؟

الجواب ، بإيجاز شديد : أن ذلك من أجل أن يُقيم حُجّته على خَلقه ، فلا يدّعى أحد من العباد أن الله تعالى ظلمه ، فالله تعالى هو الحق والعدل لايظلم أحدًا شيئا.

وما نود أن نلقي الضوء عليه بإيجاز شديد هو: بعض من الدلائل على بعث وإرسال الله عز وجل للأنبياء والرسل، ومن ثم الإيمان بهم وبدعوتهم وبكل ما أخبروا به.

الدلائل على بعث وإرسال الله عز وجل للأنبياء والمرسلين:

١– الفطرة السوية النقية والعقل السليم الصريح:

لقد خلق الله عز وجل البشر وفطرهم على الإيمان بوجوده جل وعلا ووحدانيته، وأرسل إليهم الأنبياء والرسل من جنسهم –من البشر– وبلسانهم؛ ليفقهوا عنه ويفهموا منه، وليتمكنوا من مخاطبته ومكالمته.





أي أن الأنبياء والمرسلين جاءوا مبشرين عباد الله المؤمنين الصالحين بالخيرات والأجر والثواب من الله تبارك وتعالى، ومنذرين من كفر الله تعالى وجحد آياته، متبعًا لأهوائه وشهواته، بالنقمات والعقوبات منه جل وعلا.

والفطرة السوية والعقل السليم لا ينكران ما قد ذكرنا ولا يعارضانه، ولكنهما يقبلانه ويتوافقان معه أشد القبول والتوافق، بل وينكران –الفطرة السوية والعقل السليم– على مثل من يحاول التشكيك في إرسال الله عز وجل للأنبياء والرسل، ويتعارضان معه.

٢– الإيمان بحكمة الله عز وجل البالغة الكاملة.

لقد أشرنا فيما سبق إلى عظيم صفات الله عز وجل وطلاقة قدرته، ودَلّلنا على ذلك علميًّا، وبمختلف الأدلة الدامغة والبراهين الواضحة.

ومن عظيم صفات الله عز وجل التي يتوجب علينا الإيمان بها: حكمته التامة، البالغة الكاملة.

فالإله الخالق جل وعلا له الكمال المطلق في جميع أسمائه وصفاته.

ومن حكمة الله عز وجل: أنه كما أتاح للإنسان كل ما يحتاج إليه بدنه من طعام وشراب وكساء، واتزان للكون يعمل في صالحه –الإنسان– من أرض وشمس وقمر وسماء وجبال وزروع وحيوان وطير وماء.... إلى غير ذلك، فإنه جل وعلا من تمام حكمته وكمالها أن يوفر للإنسان ما تحتاج إليه روحه التي هي أهم من جسده، من التشاريع القويمة والتعاليم السامية والعبادات الهادية التي تُقَرِّبه من إلهه وخالقه، والفوز بدار نعيمه ورضاه عليه.

ولكن: من أين يعلم البشر ما يُرضي إلههم وخالقهم؟

فكان الأنبياء والمرسلون هم المكلفون بهذه المهمة، مهمة دعوة الناس إلى الله تعالى، دعوة الناس إلى ما يُرضي الإله الخالق العظيم، الله رب العالمين.

وإذا وُجِد من يُنكر –افتراءً وزورًا– بعث الرسل من الله تعالى إلى خلقه، لزعمهم، وقولهم بأنهم –المنكرين للأنبياء والرسل– قد وجدوا الخلق مستغنين عن كل علم، وعن كل أمر من الأنبياء والرسل، لِما في عقولهم من المعرفة بالخير والشر، يُرَدّ عليهم، وعلى جدالهم ومراءاتهم، فيُقال لهم:





ألستم تجدون أن في تذكار العباد بعضهم لبعض، وتنبيه بعضهم بعضًا، وتعليم بعضهم بعضًا، يزيد في علمهم وشكرهم وطاعتهم لله تعالى، ومخافتهم منه جل وعلا؟ -مجاراة لهم- سيقولون: نعم، حيث إن ذلك مما توجبه العقول السليمة، الراجحة الرشيدة.

نقول لهم: كذلك، فإن تواتر وتتابع أنبياء ورسل الله تعالى إلى خلقه ما يقوم بتجديد عهد الله جل وعلا إلى عباده -بأن يؤمنوا به ويوحدوه ويُخلِصون في عبادتهم له- على ألسنة أنبيائه ورسله، وتتابع وَعْظهم وتذكيرهم وإرشادهم إلى العبادات الهادية والتعاليم السامية والمعاملات السديدة والتشاريع القويمة، والدقيق من الأمور المشتبهات بين ما أحله الله عز وجل وبين ما حرمه، وبالتالي معرفة طريقي الخير والشر حق المعرفة، لا على سبيل الوهم والظنون واتباع الهوى، لا سيما أن طبائع البشر وأفكارهم ومقاييسهم مختلفة.

لذلك، فإن من كمال حكمة الله تعالى أن يرسل أنبياءه ورسله، رأفة ورحمة منه تبارك وتعالى بعباده.

ومثال ذلك أيضًا:

أنَّه لو قدر وجود ملك أو سلطان قد خرج عليه بعض جنوده في مخالفة أمره، أليس من الحكمة والعدل والرفق والاستصلاح منه أن يُرسل ذلك السلطان إليهم رسولا ليرجعوا عن مخالفة أمره ويرتدعوا عن معاندته والخروج عن طاعته، قبل أن يبطش بهم على غير إنذار منه إليهم، وقبل أن يأخذهم على غِرة من غير إنذار منه إليهم؟!

الجواب: بلى، فإن ذلك من الحكمة والعدل والرحمة والرأفة.

٣- المعجزات والخوارق التي أيد الله عز وجل أنبياءه ورسله بها:

لقد أرسل الله عز وجل أنبياءه ورسله مؤيدًا لهم بالمعجزات والخوارق التي تشهد بنبواتهم ورسالاتهم وصدق دعواهم وما أخبروا به، لا سيما أن دعوتهم تتوافق تمامًا مع الفطرة السوية النقية والعقل السليم الصريح.

وقد أشرنا سابقًا إلى جانب من الإعجاز الحسّي لرسول الله محمد ﷺ.

فيجب على الجميع أن يؤمن بأنبياء الله ورسله جميعًا، إذا ما تبين صدق دعوتهم التي تتفق مع الفطرة النقية السوية، والعقل السليم الصريح، وإذا ما ظهر ما يؤيد ويشهد بصدق





نبواتهم ورسالاتهم من المعجزات والخوارق تأييدًا من الله عز وجل لهم، والتي يعجز عن الإتيان بمثلها غير الأنبياء والمرسلين.

ولذلك، فإن تكذيب أيًّا من الأنبياء أو المرسلين ومعاداته هو في الحقيقة تكذيب لجميع الأنبياء والرسل، بل هو معاداة لله عز وجل الذي أرسلهم.

فكما أن من آمن برسول يلزمه الإيمان بجميع الرسل، كذلك فإن من كفر بواحد منهم، فإنه يلزمه الكفر بالجميع.

وكذلك نوضح: أن كل نبي أدرك قومًا فهم أمته، وعليهم أن يتبعوه، ومثال ذلك:

إذا آمن شخص ما بنبي الله موسى عليه السلام لِما علم من صدق دعوته التي تتوافق مع الفطرة السوية والعقل السليم، والتزم بالشرع الذي جاء به موسى عليه السلام، ثم قُدِّر لهذا الشخص أن يدرك نبي الله عيسى عليه السلام ورسالته، فهل يمكن لذلك الشخص الذي آمن بموسى عليه السلام والتزم الشرع الذي جاء به أن لا يتبع نبي الله عيسى عليه السلام والشرع الذي جاء به بزعم أنه من أمة موسى عليه السلام، وليس من أمة عيسى عليه السلام؟!!

بالطبع: لا، حيث إن ذلك الشخص كونه أدرك نبي الله عيسى عليه السلام، فإنه يصبح من أمته، ويلزمه أن يلتزم بالشرع الذي جاء به، ولا يلزمه الالتزام بالشرع الذي كان قد جاء به موسى عليه السلام.

وكذلك، فإن كل من أدرك رسول الله محمد ﷺ فإنه يصبح من أمته، ويصير مُلزمًا باتباعه ﷺ، والتزام الشرع الذي جاء به سواءً كان يهوديا أو نصرانيا أو غير ذلك.

والحق أن كل من يتبع نبي الله موسى عليه السلام أو يتبع نبي الله عيسى عليه السلام اتباعًا صحيحًا، لقاده ذلك الاتباع إلى الإيمان والتصديق بنبوة ورسالة النبي محمد ﷺ واتباعه، حيث إن كلا من التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب السماوية بشروا بهذا النبي الخاتم للأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وأخبروا عنه.

فالنقل الصحيح والعقل الصريح يقودان إلى الإيمان بالرسالة الخاتمة، رسالة محمد ﷺ.





الإيمان بالكتب السماوية

لقد ثبت لدينا بما ذكرنا من أدلة وبراهين أن الله عز وجل أرسل أنبياءه ورسله إلى الناس لدعوتهم، مبشرين ومنذرين، وأن ذلك كان من تمام حكمة الله عز وجل وكمالها.

وإذا آمنا بالأنبياء والمرسلين وصدقناهم، فإنه يلزمنا الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله جل وعلا عليهم، حيث إنهم –الأنبياء والرسل– قد أخبروا بذلك، وفقًا لقول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والفَطر السوية والعقول السليمة تتطلع إلى ذلك، حيث تتوافق مع إنزال الله عز وجل لكتبه السماوية مُتضمنة رسالاته وتعاليمه وتشريعاته...، حاكمة بين الناس بحكم الله جل وعلا الذى بيّنه فيها ، ويجب علينا أن نؤمن بالكتب السماوية كلها، وأن لا ننكر أيًّا منها، فما علمناه بعينه نؤمن به بعينه كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف موسى والقرآن الكريم، وما عدا ذلك نؤمن به إجمالًا.

ويجب علينا أن نؤمن بأن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية المنزّلة على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ.

لذلك، فإن القرآن الكريم هو الكتاب المهيمن على جميع الكتب السماوية السابقة، ومن ثم يلزمنا التحاكم إليه، لا إلى غيره مما قد حُرِّف وبُدِّل وضُيِّع من الكتب السماوية السابقة.

ومن ثم يلزمنا الإيمان بأن القرآن الكريم هو الكتاب الذي تكفل ربنا تبارك وتعالى بحفظه من أن تمسه أيدٍ بشرية خبيثة بالتحريف... وإلى غير ذلك، لأنه هو آخر الكتب السماوية المنزلة إلى يوم الدين، فليس بعد القرآن الكريم أي كتاب سماوي آخر.





الإيمان بالملائكة

كما أشرنا أنه: إذا ما آمنا بالأنبياء والمرسلين، فإنه يلزمنا التصديق بكل ما أخبروا به، وإذا ما آمنا بالكتب السماوية المنزلة على الأنبياء والرسل، فإنه يلزمنا أيضًا التصديق بكل ما أخبرت به.

ومما أخبر به الأنبياء والرسل وأخبرت به الكتب السماوية: الملائكة.

لذلك، فإنه يجب علينا الإيمان بالملائكة بالصفة والكيفية التي أخبر بها الأنبياء والرسل، وكذلك الكتب السماوية المنزلة عليهم.

فمن الملائكة من هو موكّل من الله تعالى بالنزول على أنبياء الله تعالى ورسله بالوحى والتشريعات الإلهية والكتب السماوية ، وهو جبريل عليه السلام.

وعلينا أن نعلم أن الملائكة لهم من القدرة والقوة ما ليس للبشر، وأنهم –الملائكة– من آيات الله عز وجل، فالإيمان بهم يكون إيمان بالله سبحانه وتعالى وعظيم قدرته جل وعلا.





الإيمان بالقدر

كما أشرنا: أنه إذا آمنا بالأنبياء والرسل، فإنه يلزمنا الإيمان بما أخبروا به وبما أخبرت به الكتب المنزلة عليهم من عظيم صفات الله تعالى، ومنها علم الله جل وعلا الواسع الكامل الذي لا يسبقه جهل، وأنه جل وعلا قد أحاط بكل شيء علما، كما أوضحنا في السابق.

ومما قد أخبر به النبي محمد ﷺ لَمّا سئل عن الإيمان: الإيمان بالقدر.

والإيمان بالقدر يعني: أن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد قدَّر كل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وأن هذا التقدير تابع لكمال حكمة الله عز وجل، ولما تقتضيه هذه الحكمة من غايات حميدة وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم.

فكل ما في الكون، فإنه حادث بمشيئة الله عز وجل سواء كان ذلك مما يفعله هو سبحانه وتعالى أو مما يفعله الناس أو مما يفعله بخلقه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.





الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بقيام الساعة للحساب والجزاء.

والإيمان باليوم الآخر يدخل فيه الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، حيث إن الإنسان إذا مات ودُفِن، فإنه يُسأل في قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فإن كان كافرًا أو مشركًا أو مُلحدًا أو من غير المسلمين، فإنه يُعذّب في قبره إلى يوم القيامة، يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين جل وعلا للحساب، ثم يدخل نار جهنم، ويُخلّد فيها أبد الآبدين.

وإن كان مؤمنًا مُطيعًا لله عز وجل، فإنه يُنعم في قبره إلى يوم القيامة، حيث يُبعث للعرض على ربه تبارك وتعالى، ثم يدخل الجنة ويُخلّد فيها أبد الآبدين.

وإن كان مؤمنًا عاصيًا، فإنه في مشيئة الله عز وجل، إن شاء عذبه، ثم أدخله الجنة خالدًا فيها أبد الآبدين، وإن شاء تبارك وتعالى غفر له، ويُدخله الجنة خالدًا فيها أبد الآبدين.

ونودُّ أن نشير إلى جانب من الدلائل على قيام الساعة، أي اليوم الآخر:

١- الفطرة السوية السليمة والعقل الرشيد الصريح:

لقد خلق الله عز وجل الحياة الدنيا كدار بلاء وامتحان للإنسان؛ حيث يقضي الإنسان فترة عمره الوجيزة في تلك الحياة الدنيا كامتحان واختبار من الله عز وجل له، حيث يُكلفه ربه جل وعلا بأوامر وتكاليف، وينهاه عن انتهاك وتعدِّي ما حرمه عليه، وذلك وفقًا لما تقتضيه حكمة الله عز وجل، ثم بعد ذلك يَلْقى هذا الإنسان جزاءه بعد موته، حيث يُوفِّيه ربه جل وعلا حسابه.

والفِطَر السوية والعقول الرشيدة تستنكر أن يكون مصير المحسنين المطيعين لله عز وجل كمصير المسيئين الذين أساءوا وعصوا الله جل وعلا، تستنكر أن يتساوى المحسنون والمسيئون بأن يموت كل منهما بلا رجعة للتفاضل بينهما.

وكما هو معلوم أن الحياة الدنيا ليست دار جزاء، فمن الممكن أن نرى المحسن وقد سُلب حقه من غيره، وأوذي من المفسدين أشد الإيذاء ممن هو أشد وأقوى منه من الجبابرة والطغاة، وذلك إلى أن يموت دون أن يستطيع الانتقام لنفسه أو ردًّا لحقه.






إذن، فلا بد من دار آخرة تكون دار جزاء، ليستقيم فيها هذا الأمر، حيث يُرد للمظلوم حقه من الظالم وأن يُجازى المحسن بإحسانه في الدنيا إحسانًا من الله تعالى في الآخرة، وأن يجازى المسيء بإساءته في الدنيا السوء في الآخرة كعقاب له.

وهذا مما تتوافق معه الفطر السوية والعقول الرشيدة، بل وتتطلع إليه، وهذا هو ما أقره الله تعالى في صيغة سؤال استنكاري، في قوله جل وعلا:

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ*مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦].

فالفِطَر السوية والعقول الرشيدة تنفي أن يتساوى الصالحون مع المفسدين.

ومن جانب آخر: فإن الآخرة تُعد ضرورة خُلقية.

حيث إنه إذا لم يكن هناك دار آخرة للجزاء، للثواب والعقاب، لَمَا كان التمسك بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة التي لا تَصلُح المجتمعات إلا بها؛ لأنه في حال انعدام الدار الآخرة، يتساءل الإنسان الأمين في نفسه –كمثال افتراضي-: لِمَ التمسك بهذه الصفة (الأمانة)، وقد كان من الممكن أن أُحَصِّل من المنافع كذا وكذا.. لولا التمسك بها؟!

فإذا لم يكن هناك دار آخرة يلقى فيها الإنسان أجره جزاءً لتضحيته بما قد يُعَد من المصالح والمنافع الدنيوية في حال تمسكه بالأمانة وغيرها من الصفات الحسنة والأخلاق الحميدة –كما كان التمسك بهذه الصفة وغيرها– بل ويُعَدُّ حينئذ التخلي عنها وعن غيرها في حال جَلْبِ المصالح والمنافع الدنيوية أَوْلَى بالنسبة له.

لذلك، فإن الآخرة تُعدّ ضرورة خُلُقية لصلاح المجتمعات وعدم فسادها، وهذا من حكمة الله عز وجل.

٢- إخبار الأنبياء والمرسلين بالبعث والحساب:

لقد أرسل الله عز وجل أنبياءه ورسله بالعقيدة الصافية والدعوة الصادقة التي تتوافق مع الفطرة السوية والعقل السليم، وأيدهم بالمعجزات والخوارق التي يعجز عن الإتيان بمثلها إلا من كان نبيًّا أو رسولا مؤيدًا من ربه تبارك وتعالى.





لذلك كان لازمًا على الناس أن يؤمنوا بما دعوا إليه، وأن يصدقوهم فيما أخبروا به ويتبعوهم.

ومما أخبرت به الأنبياء والرسل: اليوم الآخر، حيث يُبعث الإنسان بعد موته للحساب والجزاء من إلهه وخالقه.

لذلك: كان من اللازم أن يؤمن الناس باليوم الآخر، يوم الحساب والجزاء، وفقًا لما أخبر به الأنبياء والمرسلون.

٣- حكمة الله سبحانه وتعالى وعدله تقتضيان البعث والجزاء:

إن من حكمة الله عز وجل وعدله أن يجعل هناك يومًا آخر بعد نهاية الحياة الدنيا، لينال كل إنسان جزاءه، وما يستحق من الثواب والعقاب على ما قدَّم من خير أو شر.

فإننا نرى أُناسًا يفارقون الدنيا وهم ظالمين لغيرهم، ولم يُقتص منهم، وآخرين يفارقونها مظلومين لم تُرد إليهم مظلمتهم.

ونرى فيها أشرارًا مُنغمسين وأخيارًا معذبين، فإذا ذهب كل إنسان بما فعل ظالمًا كان أو مظلومًا، من غير انتصاف للمظلوم من الظالم، ومن دون تمييز للمُحسن من المسيء، كان ذلك قدحًا في عدل الله عز وجل وحكمته.

لذلك، فإن من حكمة الله عز وجل وعدله أن يكون هناك يوم يحضر فيه الجميع بين يدي الإله الملك سبحانه وتعالى ليُقتص للمظلوم من ظالمه، ولينال كل مُحسن ومسيء جزاءه، وفقًا لقول الله تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٤٨].

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦].

دلائل مرئية، عقلية موجزة على إحياء الله عز وجل للإنسان بعد موته للجزاء، وقدرته عز وجل على ذلك:



نشير أولا: أن زعم المنكرين للبعث ما هو إلا ظن كاذب باطل، والظن لا يُدفع به اليقين، وفقًا لقول الله تعالى:

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٨].

١- النشأة الأولى للإنسان:

فكما أن الله عز وجل خلق الإنسان من تراب بعد أن لم يكن شيئًا، وجعله ينتقل من مرحلة لأخرى أثناء فترة خلقه، فإنه عز وجل قادر على أن يبعث الإنسان بعد موته وتحلله نظير النشأة الأولى، ومن ثم يلزم الجميع عدم إنكار النشأة الآخرة للإنسان.

ويؤكد ذلك علميًّا، لقد اكتشف العلم الحديث:

أن أجساد الأموات بعد تحلُّلها في قبورها إلى مكوناتها الأساسية من الماء والتراب، يبقى منها شيء مهم: وهي عظمة مثل حبة الخردل، وهي (عجب الذنب)، حيث لا يأكلها التراب.

- وقد اكتشف أيضًا:

أن هذه العظمة (عجب الذنب) هي المنظم الأول، حيث يُخلق منها جميع أنسجة وأعضاء وأجهزة الجنين، وأنها لا تَبلى أبدًا.

وننوه إلى: أن أول من نطق بهذه الحقيقة العلمية هو سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، حيث أخبر في حديثه الشريف:

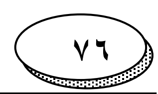
((**كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عجب الذنب، منه خُلِقَ وفيه يُركب**)) [رواه مسلم].

لذلك: فإن هذا الحديث النبوي الشريف ومضة مبهرة، وشهادة حق بأن محمدًا ﷺ هو رسول رب العالمين، أيَّده ربه تبارك وتعالى بعظيم وشتى المعجزات، إيذانًا من الله تبارك وتعالى بختم الرسالات السماوية ببعثة خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ.

٢- النوم واليقظة:

إن نوم الإنسان يُعدّ موتة صغرى، ثم إن يقظته من نومه بمثابة حياة بعد موت، فكل إنسان يموت موتة صغرى، ثم يحيا حياة دنيا، على هذا المنوال في كل يوم وليلة.





ففي نوم الإنسان ويقظته إشارة إلى أن هناك حياة أخرى بعد موتته الكبرى ونهاية أجله في الحياة الدنيا من أجل الحساب والجزاء.

٣- إحياء الأرض بعد موتها:

فكما أن الله عز وجل أحيا هذه الأرض الهامدة الميتة، القاحلة التي لا نبات فيها بإنزال الماء عليها، وجعلها ذات نبات نَضِر، فهو جل وعلا قادر على إحياء البشر بعد موتتهم.

٤- إخراج النار من الشجر اليابس، أي إخراج الشيء من ضدِّه:

إن من طبيعة الشجر: الرطوبة والبرودة، ومن طبيعة النار: أنها يابسة حارة، فكما أن الله عز وجل أخرج النار اليابسة الحارة من ضدها وهو الشجر الرطب البارد الأخضر، فهو جل وعلا قادر على أن يُخرج الحياة من الموت، قادرٌ على أن يجيء بالإنسان مرة أخرى بعد موته للحساب والجزاء.

وقد كان قديمًا: يأتي من يريد أن يقدح نارًا وليس معه زِناد بعودين أخضرين من شجر المرخ والعفار اللذان ينبتان بأرض الحجاز، ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما.

٥- عظمة المخلوقات الأخرى التي خلقها الله عز وجل:

فكما أن الله عز وجل خلق السماوات والأرض مع عِظمِهما وسِعتهما، فهو جل وعلا قادر على إحياء الإنسان بعد موته، حيث إن خلق السموات والأرض أكبر وأعظم من خلق الإنسان الضعيف.

تنبيه:

لقد ذكرنا أنه: من الإيمان باليوم الآخر، أن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه، بمعنى: أن الإنسان يحيا في قبره حياة من نوع آخر، لا علم لنا بكيفيتها وهي (حياة البرزخ) وأثناء هذه الفترة (حياة البرزخ) داخل القبر: إمَّا أن يُنعَّم الإنسان في قبره لكونه مؤمنًا صالحًا، وإمَّا أن يُعذَّب لكونه كافرًا، مشركًا، مُلحدًا، أو فاسقًا عاصيًا.

وقد ينكر أحد المفترين الكاذبين عذاب القبر بحجة أنه لا يرى ذلك العذاب، أو النعيم إذا ما ترك القبر مفتوحًا على صاحبه الذي دُفِنَ فيه، وبحُجَّة أنه قد يُدفن اثنان أو ثلاثة أو أكثر –للضرورة– في قبر واحد ويكون منهم العُصاة والصالحين، فكيف يُعذب



العاصي وبجواره الصالح الذي سوف يتأذى بعذابه، وكيف يُنعَّم الصالح وبجواره العاصي الذي سوف يصيب من ذلك النعيم؟!

وللجواب على مثل تلك الشبهة نذكر:

أولا: أن الله عز وجل قادر على كل شيء، كما هو ثابت لدينا، وقد أشرنا إلى عظيم صفات الله عز وجل وطلاقة قدرته.

لذلك، إن الله عز وجل قادر على أن لا يُري الإنسان ما يحدث داخل القبر من حياة البرزخ، ومن سؤال الملكين، ومن عذاب أو نعيم، وإن تُرك القبر مفتوحًا على صاحبه، بل وإن لم يُدفَن.

والله عز وجل قادر على أن يُعذِّب العاصي، وأن يُنعِّم الصالح دون أن يحظى العاصي بنعيم مما يُنعَّم به الصالح، ودون أن يتأذى الصالح بعذاب مما يُعذّب به العاصي، وإن دُفِنا بقبر واحد بجانب بعضهما.

ونُدلِّل على ذلك عقليًّا:

إذا ما نام رجلان، وفراش أحدهما بجانب فراش الآخر، فقد يَرى أحدهما في منامه ما يسوؤه ويضره أشد الإساءة والضرر، بل وفي بعض الأحيان يود لو أن يقوم من نومه من شدة ما يؤذيه في منامه أثناء نومه، ولا يستطيع ذلك.

وقد يرى الآخر رؤيا صالحة مُبشرة تَسُرُّه وتُفرحه أشد ما يكون السرور والفرح، وودَّ لو بَقِيَ هكذا في رؤياه دون أن يستيقظ.

ونقول: فمع أن الرجلين نائمان أمام أعيننا، وعلى قُرب منا إلا أننا لا نستطيع رؤية ما حدث لكل منهما، فهل نُنكر ما قد أخبرا به في حال نومهما؟! بالطبع: لا.

ومع أن فراشي الرجلين كانا متقاربين، وبجوار بعضهما، إلا أنه لم تختلط رؤيا أيا منهما بالآخر، فإذا كان ذلك في تلك الحياة الدنيا، فما بالنا بحياة البرزخ والحياة الآخرة بعد البعث للحساب، اللتين لهما وصف آخر ومقاييس ومعايير أخرى مُغايرة لما هي عليه الآن في تلك الحياة الدنيا،**لذلك**: فإنه يجب علينا الإيمان بكل ما أخبرت به الأنبياء والرسل، والتسليم واليقين بكل ما جاءوا به.



أين الهداية؟!

إن كل إنسان له عقل حكيم، وافر رشيد، لا بد وأن يبحث عن الهداية، يبحث عن السبيل الذي يرتضيه إلهه وخالقه، فتراه يُحاول أن ينظر في كل من اليهودية والنصرانية والإسلام؛ لأنها رسالات السماء، ولكنه سرعان ما يهتدي إلى أن دين الإسلام هو دين الله تبارك وتعالى، هو الدين الحق الذي ترتضيه فطرته السوية التي فطره الله عز وجل عليها، وهو الدين الحق الذي يقبله العقل السليم الصريح، الراجح الرشيد الذي منحه الله تبارك وتعالى إياه.

ولا شك، إن الإله الذي أرسل محمدًا ﷺ بالإسلام هو الإله الخالق لهذه الفطرة السوية، وهو الإله المانح لهذا العقل السليم الصريح، واللذان يتوافقان مع كل ما جاء به الإسلام، من معتقد بسيط سليم، صافٍ، ليس به شوائب أو عكرات، وليس به إعنات للفكر أو قهر للذهن والتصور، واللذان يتوافقان أيضًا –الفطرة السوية والعقل السليم الصريح– مع كل ما جاء به الإسلام من شرع قويم، وتعاليم سامية، ومعاملات حكيمة سديدة على أسس من الخير والفضيلة.

وسوف نُدلِّل على أن الهداية ليست إلا في الإسلام، بأن نوضح جانب من دلائل نبوة خاتم أنبياء الله تعالى وهو رسول الإسلام محمد ﷺ، وذلك فى النقطة التالية .



رسالة خاتم أنبياء الله تعالى ورسله محمدﷺ

لقد جرت سنة الله سبحانه وتعالى أن يبعث رسله حين تشتد حاجة العالم إليهم، وحين يضل الناس عن سبيل الله الذي يصلهم بربهم، ويصل بعضهم ببعض، بعد أن فسد الناس، وضلوا، واختلفوا، وتقاطعوا، واشتدت الحاجة إلى رسالة تصلح العقائد، وتداوي النفوس، وتربط الناس بعضهم ببعض، وتوجههم جميعًا في وحدة منسجمة متآلفة إلى بارئهم وخالقهم؛ ليقوموا بواجب الشكر له على ما أنعم به عليهم وأسداه إليهم، وما أرسل به رسوله من عقائد صافية، وعبادات هادية، ومعاملات حكيمة، وأخلاق كريمة، وتشاريع قويمة على أساس من الخير والحق والفضيلة.

ومن ثُم كانت حاجة العالم إلى رسالة النبي محمد ﷺ ، لما قد أشرنا إليه فضلا من الله تبارك وتعالى.

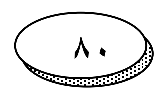
قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا* وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال الله تعالى: (يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف:١٥٧].

وقال تعالى: (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ* فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ) [البقرة: ١٥١، ١٥٢].







شواهد تشهد لرسول الله ﷺ بالرسالة

الشاهد الأول: العقيدة التي جاء بها المصطفى محمد ﷺ

ولكي تتجلى لنا وتتضح أهمية العقيدة التي جاء بها رسول الله محمد ﷺ، نوضح:

- أنه إذا ما تأملنا في العقيدة التي جاء بها محمد ﷺ، والتي كانت سببًا في رقي أهل الإسلام الذين رضوا بالإسلام دينًا، واعتنقوه وعملوا بتعاليمه، وتمسكوا بالكتاب الذي أُنزل على رسولهﷺ نجد أن :

النبي محمدﷺ كان يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية؛ يُعَرف الناس بإلاههم ويدعوهم إلى عبادته سبحانه وتعالى وحده وإفراده بالعبودية جل شأنه، يُعَرف الناس بربهم الذي خلقهم وأوجدهم من عدم ورزقهم، وينفي وجود نِدٍّ أو شريك له.

ويدعو كل من أنكر وجوده سبحانه وتعالى إلى الإيمان بموجد هذا الكون المحكم الصنع، يدعوهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

- يدعو إلى محاربة عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، والتي مع ذلك كان العرب وغيرهم يعبدونها من دون الله عز وجل.

- يدعو إلى محاربة كل ما يُعبد من دون الله، فالعرب وغيرهم يعبدون الحجارة، والفرس يعبدون النار، واليهود اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله عز وجل، يحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله، فيتبعونهم.

والنصارى يعبدون بشرًا – المسيح– مخلوقًا يأكل ويشرب وينام، إلى غير ذلك مما يفعله البشر الذين خلقهم الله عز وجل، ومع ذلك يعبدونه من دون الله.

- يدعو إلى عبادة الله وحده، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن أي صفة نقص نُسبت إليه من البشر، فنلحظ أن البيئة التي أحاطت بالنبي ﷺ كانت تموج بافتراءات على الخالق جل وعلا.





لذلك ، فإن العقيدة التى جاء بها النبى محمدﷺ هي العقيدة الصحيحة التي يقبلها أي عقل رشيد يريد أن يعرف إلهه، ينزهه ويمجده ويعبده، وتقبلها الفطرة السليمة السوية بدون أي تركيبات أو تعقيدات أوشوائب، فالعقيدة التي جاء بها محمد ﷺ هي عقيدة صافية يسهل

فهمها وقبولها بدون أية مشقة أو تعنت فهي النور الذي أنار الله سبحانه وتعالى بها الظلمة، فمحى بها ظلمات الشرك والإلحاد.





الشاهد الثاني: البيت العتيق– الكعبة المشرفة–

تطهير البيت العتيق ،وهو أول بيت وضع للناس لعبادة الله سبحانه وتعالى من دنس الشرك والأوثان:

قال الله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ) [آل عمران: ٩٦].

(وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) [الحج: ٢٦].

إن أول بيت وضعه الله عز وجل في الأرض هو الذي بمكة؛ ليتعبد الناس لربهم عبادة صافية خالصة لا إشراك فيها، وكان العرب يحجون إلى هذا البيت في كل عام، ولكن بمرور الوقت والزمن زين الشيطان لهم عبادة غير الله من أصنام وأحجار.

ولكي ندرك مدى عظمة هذا البيت وحرمته عند الله تعالى علينا أن نعلم أنه أول بيت لله وضع للناس في هذه الأرض التي نحيا عليها.

ولنقرأ نبذة مختصرة عن قصة أصحاب الفيل الذين أرادوا هدم البيت الحرام – البيت العتيق–.

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) [الفيل].

لقد قام أبرهة الأشرم ببناء كنيسة في صنعاء؛ ليصرف إليها حج العرب بدلا من الكعبة (أول بيت وضعه الله تعالى فى الأرض) ، وقد جلب إليها (الكنيسة) الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب، ونصب منها صلبانًا من الذهب والفضة، ومنابر من العاج.

ولكن لم يستطع صرف العرب إليها بدلًا من الكعبة، فقرر هدم الكعبة بيت الله العتيق.

وقد تهيأ أبرهة لدخول البلد الحرام وهيأ فيله وعبَّى جيشه مجمعًا لهدم البيت العتيق، ثم الانصراف إلى اليمن، ولم يكن لأهل مكة القدرة على مقاومة جيش أبرهة، فلما وجهوا (جيش أبرهه) الفيل من معسكره تجاه الكعبة لهدمها من ناحية الجنوب برك وأبى أن يتحرك، فضربوه في رأسه بآلة من حديد، ثم أدخلوا محاجن لهم في أسفل بطنه، وهو بارك لا يقوم،





فوجهوه راجعًا إلى اليمن، فقام يهرول ووجهوه نحو الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق، فتهيأ للانطلاق، ولما عادوا يوجهونه نحو مكة برك.

ثم كان أن سلط الله نقمته على أصحاب الفيل فانتشر فيهم فجأة وباء مهلك، رمتهم بجراثيمه طيرًا أبابيل، فجعلتهم كعصف مأكول، وجُنُّوا من خوف ورعب، فولوا مدبرين.

وكانت هذه الحادثة في العام الذي وُلد فيه خاتم المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ، وفي اليوم الذي وُلد فيه المصطفى ﷺ وكما قلنا أنه بمرور الوقت والزمن منذ بناء الكعبة زين الشيطان للناس عبادة غير الله من أصنام وأحجار بزعم أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله زلفى.

وجاءت الرسالات وجاءت اليهودية، ومن ثم النصرانية، ولم تستطع أي منهم تطهير هذا البيت الحرام- وهو أول بيت لله وضع للناس لعبادة الله وحده- ولا تطهير أهله من دنس الشرك والأوثان، من عبادة الأصنام والأحجار إلى عبادة الله الواحد الجبار.

ألا تقتضي حكمة الله عز وجل أن يطهر بيته العتيق- وهو أول بيت وضع للناس ليعبدوا ربهم الذي خلقهم ورزقهم عبادة خالصة له، لا إشراك فيها لغيره من دنس الشرك والأوثان، ويصحح لهم عقيدتهم في إلههم وخالقهم الذي خلقهم من عدم- بأن يرسل رسولًا خاتمًا تختم به الرسالات السماوية، يتلو عليهم آيات ربهم ويزكيهم، ويطهرهم من الشرك والفجور ويعلمهم كتاب ربهم، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث؟

بلى، لقد اقتضت حكمة الله عز وجل أن يرسل رسوله خاتم المرسلين محمد ﷺ بالعقيدة الصافية السليمة التي لا عيب فيها ولا نقصان، وبالعبادات الهادية والمعاملات الحكيمة والأخلاق الكريمة والتشاريع القويمة، فأخرج الناس من ظلمات الشرك والأوثان إلى نور التوحيد.

فلقد مَنَّ الله عز وجل على رسوله محمد ﷺ بفتح مكة في العام الثامن من الهجرة، فدخل المسجد الحرام، وأقبل ﷺ إلى الحجر الأسود، فاستلمه ثم طاف بالبيت العتيق، وفي





يده قوس وحول البيت آنذاك (٣٦٠) ثلاثمائة وستون صنمًا كانوا يُعبدون من دون الله عز وجل، فجعل يطعنها رسول الله ﷺ بالقوس ويقول قول الله عز وجل:

(وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) [الإسراء: ٨١]،

و (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) [سبأ: ٤٩].

فمحمد ﷺ هو رسول الله حقا وصدقا

ومن كرامة الله سبحانه وتعالى لهذا المكان الطاهر؛ مكة المكرمة الذي به وضع البيت العتيق، وهو أول بيت لله وُضع للناس ليعبدوه سبحانه وتعالى:

أ– ما تم اكتشافه حديثًا:

لقد اكتُشف أن مكة المكرمة– وهي أم القرى– تتوسط اليابسة تمامًا، بمعنى أننا إذا رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة، فإن هذه الدائرة تحيط باليابسة كاملة، ليس هذا فحسب، بل إن مكة المكرمة تتوسط اليابسة زمانًا أيضًا حيث إن خط طول مكة المكرمة يتوسط الزمن تمامًا، فيكون ما حول مكة المكرمة هو العالم كله في كل مكان وزمان.(١)

فلقد أرسل ربنا تبارك وتعالى محمدًا ﷺ خاتم المرسلين للناس كافة في كل مكان وزمان، فهو القائل جل شأنه في كتابه المبين القرآن الكريم: (وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا) [الأنعام: ٩٢].

فأم القرى هي مكة المكرمة: وما حولها هو العالم كله في كل مكان وزمان، فمحمد ﷺ هو الرسول الخاتم الذي خُتم به الرسل.

وبذلك يتضح لنا أن مكة المكرمة هي بمنزلة العاصمة للكرة الأرضية، فكان من مقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون مكة المكرمة مهدًا للرسالة العالمية والخاتمة.

ومن الأمور التي تتعلق بمكة المكرمة والكعبة المشرفة:

(١)موسوعة الإسلام والعلم الحديث،الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/ زغلول النجار





(١) **ماء زمزم**: إن بئر زمزم هي إحدى المعجزات المادية الملموسة الدالة على كرامة المكان؛ مكة المكرمة، وعلى مكانة كل من سيدنا إبراهيم وولده سيدنا إسماعيل وأمه (الصديقة هاجر) عند رب العالمين، حيث إن خروج بئر زمزم وسط صخور نارية ومتحولة شديدة التبلور، مصمتة، لا مسامية فيها، ولا نفاذية لها في العادة أمر ملفت النظر.

والذي هو أكبر من ذلك وأكثر أن تظل هذه البئر تتدفق بالماء الزلال على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة على الرغم من طمرها وحفرها عدة مرات على فترات.

فمن خصائص ماء زمزم: أثبتت الدراسات العلمية الحديثة التي أجريت على ماء بئر زمزم أنه ماء متميز في صفاته الطبيعية والكيمائية، فهو ماء غازي عسر، غني بالعناصر والمركبات الكيميائية النافعة التي تقدر بحوالي (٢٠٠٠) ملليجرام بكل لتر، بينما لا تزيد نسبة الأملاح في مياه آبار مكة والأودية المجاورة لها لا تزيد على (٢٦٠) ملليجرام بكل لتر، مما يوحي ببعد مصادرها عن المصادر المائية حول مكة المكرمة، وبتميزها عنها في محتواها الكيمائي وصفاتها الطبيعية.

وتستخدم مياه بئر زمزم في علاج العديد من الأمراض، فسبحان الذي أمر بشق بئر زمزم فكان هذه البئر المباركة، وسبحان أمر الماء بالتدفق إليها من مسافات بعيدة عبر شقوق شعرية دقيقة.[١]

ولعل هذه الظاهرة (تدفق الماء إلى بئر زمزم من مسافات بعيدة) تكون مؤيدة لمن قال بأن مكة المكرمة هي مركز الجاذبية الأرضية.

(٢) **الحجر الأسود**: والذي قال عنه رسول الله ﷺ: ((**نزل الحجر الأسود من الجنة**...)). رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

لقد اكتُشف أن الحجر الأسود ليس حجرًا أرضيًّا حيث إن مواصفاته الداخلية ليست كمواصفات الصخور الأرضية، كما أشار المصطفى ﷺ أنه ليس من أحجار الأرض.[١]

(١)الإعجازالعلمى فى السنة النبوية د/ زغلول النجار





ب- الطواف حول الكعبة:

إن عبادة المسلمين المتمثلة في الطواف حول البيت العتيق الكعبة المشرفة، والتي شرعها الله عز وجل لهم، واختارهم لها هي العبادة الوحيدة التي تتوافق وتنسجم مع النظام الكوني الذي خلقه وأبدعه الله سبحانه وتعالى، فلقد شرع الله سبحانه وتعالى لنا الطواف سبعة أشواط حول الكعبة في اتجاه معاكس لعقارب الساعة، بحيث تكون الكعبة على يسارنا ولنتأمل ولنمعن النظر في هذا التوافق والانسجام العجيب:

١- النواة التي تحتويها الذرة التي تتكون منها المادة تدور حول هذه النواة إلكترونات في (٧) سبعة مستويات من الطاقة، حيث إن النواة حولها سبعة مستويات من الطاقة، وهو نفس عدد أشواط الطواف حول الكعبة.

وتدور هذه الإلكترونات عكس عقارب الساعة وهو نفس اتجاه الطواف حول الكعبة فسبحان الله!![٢]

٢- وتدور الأرض حول محورها: في اتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة، سبحان الله![٣]

٣- وفي نفس الوقت تدور الأرض حول الشمس: في اتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة وهو نفس اتجاه طواف المسلمين حول الكعبة، عكس عقارب الساعة، فسبحان الله!![٤]

٤- والحيوان المنوي للإنسان يدور حول البويضة: وفي اتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة وهو نفس اتجاه حركة الطواف حول الكعبة، فسبحان الله العظيم وبحمده!!

---

(١)موسوعة الإسلام والعلم الحديث،الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/ زغلول النجار

(٢) إعجازالقرآن فى ما تحفيه الأرحام أ/كريم نجيب الأغر

(٣)إعجازالقرآن فى ما تحفيه الأرحام أ/كريم نجيب الأغر

(٤)إعجازالقرآن فى ما تحفيه الأرحام أ/كريم نجيب الأغر





فكأن الدوران عكس عقارب الساعة كما في عبادة الطواف حول الكعبة واتجاهها ركن من أركان التسبيح، فسائر الأجرام السماوية والشمس والقمر والنجوم والكواكب والجزيئات كلها تدور عكس عقارب الساعة في أفلاك تسبح الله سبحانه وتعالى.

فالحيوانات المنوية للإنسان تدور حول محور النطفة عكس عقارب الساعة، والنطفة تدور حول نفسها في اتجاه معاكس لعقارب الساعة، والمسلمون يطوفون خلال أداء مناسك الحج حول الكعبة في الحج في اتجاه معاكس لاتجاه عقارب الساعة، فبهذا المثل مثل الدوران عكس عقارب الساعة حول النواة أثناء التسبيح– كطواف المسلمين حول الكعبة– ودوران الأرض حول الشمس، ودوران المجموعة الشمسية حول الثقب الأسود، يتجلى لنا تطابق النصوص الدينية الإسلامية مع نظام الكون مما يدل على أن خالق هذا الكون هو الذي أنزل الدين الحق الذي يتجلى فيه ناموس الكون، ألا وهو الإسلام.[١]

فسبحان الله العظيم الحكيم الذي أرسل رسوله محمدًا ﷺ خاتم المرسلين بهذا العبادات الهادية وهذا الشرع القويم.

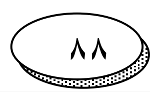
ج– عبادة السجود في الصلاة باتجاه البيت الحرام: لقد اكتشف أن السجود باتجاه البيت الحرام يحمي الإنسان من الكثير من الأمراض الجسدية والنفسية؛ كالصداع والإرهاق، وغير ذلك، حيث إن جسم الإنسان محمل بالشحنات الكهربائية الموجبة، وعند تزايد هذه الشحنات يكون لها آثار سلبية على جسده فيجب التخلص منها، وعند سجود الإنسان في الصلاة يتم تفريغ هذه الشحنات الزائدة بانتقالها إلى الأرض.

---

(١)إعجازالقرآن فى ما تحفيه الأرحام أ/كريم نجيب الأغر ،وقد أورد الدكتور /زغلول النجار فى كتابه(الإعجازالعلمى فى السنة النبوية) دوران البويضة حول نفسها ،وكذلك دوران الحيوانات المنوية ٧ دورات حولها فى اتجاه معاكس لعقارب الساعة







الشاهد الثالث : نسب رسول الله ﷺ وصفاته وحال دعوته ﷺ

نسب رسول الله ﷺ :

إن رسول الله ﷺ هو أفضل وأعظم قريش نسبًا، تُعرف أسرته بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف.

- هاشم: هو الذي تولى السقاية والرفادة من بني عبد مناف، وكان موسرًا ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة.

٢- عبد المطلب: صارت السقاية والرفادة والرفيدة بعد هاشم إلى عبد المطلب جد النبي ﷺ وكان شريفًا مُطاعًا، ذا فضل في قومه، كانت قريش تُسميه الفياض لسخائه وهو سيد مكة، ورسول الله ﷺ أفضلهم أخلاقًا وأعظمهم وأحسنهم صفاتًا، ويعلم القرشيون هذا ولا يستطيع أحد أن ينكره ويشهدون على ذلك.

فهو ﷺ الصادق الأمين، وتشهد قريش قاطبة على صدقه وأمانته ﷺ .

ولنعد إلى العصر الذي نشأ فيه النبي ﷺ :

فنرى أنه ﷺ نشأ في عصر سادت فيه الجهالة وعمت فيه الضلالة، بين قوم أميين وثنيين غير موحدين، يكفرون باليوم الآخر، ويحيون حياة اللهو ويتعصبون لأتفه الأسباب، كانوا قبائل متدابرة وعشائر متناحرة، لم تكن لهم دولة لها مقومات الدولة؛ من حكومة لها سلطان، وجيش يدفع العدوان، ودستور يفصل الحقوق والواجبات، وقانون يبين العقوبات.

في هذا العصر وهذه البيئة: نشأ رسول الله ﷺ ثاقب الفكر، عظيم النفس، كريم الخلق.

- حال الرسول ﷺ قبل الرسالة وبعدها؛ لنصدر أحكامنا عن بينة:

- عاش رسول الله ﷺ إلى سن الأربعين يتمتع بين قومه بحسن السمعة ونباهة الذكر، مشهور بالصدق والأمانة.

وعندما قرر الرسول ﷺ الهجرة بعد الرسالة بنحو ثلاثة عشر سنة ترك ابن عمه علي بن أبي طالب؛ ليرد الودائع التي كانت عنده إلى أهلها.

فهو ﷺ الصادق الأمين الذي كانت قريش تستأمنه على حاجاتها.





كذلك: نشأ ﷺ منذ صباه يتحاشى عبادة الأصنام، وينفر من القرب منها.

- وكذلك: فقد نشأ ﷺ عزوفًا عن الملاهي

وكان ﷺ على علم من أنه منذ لحظة رسالته ونزول الوحي عليه، عليه أن يجتهد طويلًا ويصطبر كثيرًا إلى أن ينصره الله سبحانه وتعالى، وبالتأكيد فإن هذا الأمر(رسالتهﷺ) سيطول وقته إلى أن تنتشر دعوته ورسالته.

كان رسول ﷺ يدعو إلى التوحيد والعبادة الخالصة لله عز وجل وإلى صلة الأرحام، يربط الناس بعضهم ببعض ويدعو إلى الخير وإلى الصلاة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

فلقد أمر ﷺ بالكتابة إلى ملوك وأمراء الأرض، وأرسل إليهم كتبًا يدعوهم فيها إلى الإسلام وإلى ما فيه من تعاليم وشرع قويم، فأرسل إلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى ملك فارس، وإلى قيصر ملك الروم، وإلى المنذر بن ساوي حاكم البحرين، وإلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، وإلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق، وإلى جيفر ملك عمان، وإلى أخيه عبد بن الجلندي. وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك وأمراء الأرض، فمنهم من آمن به ﷺ ومنهم من كفر، ولكنه ﷺ شغل فكر هؤلاء الكافرين وعرف لديهم اسمه ودينه.

ونسأل: أكان يمكن أن يتلقى التوحيد من مجتمع وثني يباهي بالأحساب، ويفاضل بين الأنساب، مجتمع تسوده العصبية الجاهلية، مجتمع يمارس الشرور ويبالغ في الفجور؟

بالطبع لا: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ [النجم: ٤، ٥].

فهو ﷺ رسول من عند الله سبحانه وتعالى أوحي إليه من قبل ربه تبارك وتعالى.

أميته ﷺ ودعوته:

كان ﷺ أميًّا، ولكن أميته دليل من دلائل نبوته ﷺ: أمي يعلم الأميين، بل ويعلم المتعلمين إلى يوم الدين، أمي يتخرج من جامعته الإسلامية حكام وساسة وجنود وقادة وفقهاء وحكماء وحساب وكتاب ومحدثون ومدرسون ووعاظ ومفتون وقضاة عادلون وعلماء في شتى المجالات العلمية، فمع أميته ينطق بحقائق علمية مبهرة مذهلة، لم يكن يعلمها أحد على أن اكتشفها العلم الحديث منذ عدد قليل من السنوات.



قال تعالى:

(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى) [النجم: ٣ – ٥].

فأميته ﷺ دليل من دلائل نبوته ورسالته ﷺ ، لذلك فإن محمدًاﷺ هو رسول الله حقًّا وصدقًا.

الشاهد الرابع :مسارعته ﷺ إلى ما كان يدعو إليه واشتغال قلبه دومًا بذكر الله

لقد كان النبي محمدﷺ أشد الناس طاعة لله وأكثرهم ذكرًا له سبحانه وتعالى وأعظمهم خوفًا منه جل شأنه، ولم يكن هذا محض ادعاء، بل كان حقيقة واقعة يلمسها أهله وأصحابه في كل ما بدر منه وصدر عنه ﷺ.

وأخرج ابن حبان في صحيحه عن عطاء قال: قلت لعائشة (زوج النبي محمدﷺ) : أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ؟

قالت: وأي شأنه لم يكن عجبًا.

إنه أتاني ليلة، فدخل معي في لحافي، ثم قال: ذريني أتعبد لربي.

فقام فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى سالت دموعه على صدره، ثم ركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه بالصلاة.

فقلت: يا رسول الله ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟

قال: ((أفلا أكون عبدًا شكورًا، ولم لا أفعل؟ وقد أنزل علي في هذه الليلة: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ))) [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

ثم قال: ((**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**)).

نعم، لقد كان النبي ﷺ لا يغفل عن ذكر الله لحظة، بل كان دائم الذكر له جل شأنه في السر والعلن، في الملأ والخلاء، في اليسر والعسر، في المنشط والمكره، في السفر والحضر، في الليل والنهار، في الصباح والمساء.

فهذا هو محمد رسول الله ﷺ خاتم المرسلين:

كتاب مفتوح قبل البعثة وبعدها للجميع، فمن أراد أن يتعرف على عظيم شخصيته وسيرته العطرة، فليقرأ وليتصفح سيرته ﷺ؛ ليعلم ويتيقن أنه ﷺ هو رسول الله حقًّا وصدقًا.

الشاهد الخامس : عزوفه ﷺ عن الدنيا وأغراضها ومفاتنها

ونعود مرة أخرى فنسأل: إذا لم يكن محمد ﷺ رسولًا من عند الله سبحانه وتعالى فماذا كان يبغي من وراء هذه الدعوى التي جلبت له ألوانًا من العذاب والاضطهاد؛ من شتم بذيء شنيع إلى إيذاء شديد فظيع؟!

لقد كان بشهادة خصومه عاقلًا حصيفًا حكيمًا، فما الغاية التي كان يسعى ويرجو الوصول إليها؟

أكان يبغي الملك، أم المال؟

لقد عُرض عليه ﷺ الملك والمال من ربه، ثم من كفار قريش، فآثر أن يكون عفيفًا نزيهًا وزاهدًا قانعًا.

- فلقد حاول المشركون مساومة النبي ﷺ بإغداق كل ما هو يمكن أن يكون مطلوبًا له؛ ليكفوه عن دعوته، ولم يكن يرى هؤلاء المساكين أن كل ما تطلع عليه الشمس لا يساوي جناح بعوضة أمام دعوته ﷺ، فخابوا وفشلوا فيما أرادوا.

هذا كله ينفي عن رسول الله ﷺ أنه كان يريد الدنيا ومظاهرها، ولم يكن هذا مجرد كلام، بل كان حقيقة نلمسها في أول عهده ﷺ كما نلمسها في آخر عهده ﷺ على السواء.

يوم دان له خصومه وخضع له أعداؤه ووافته الأموال الجمة والغنائم التي لا حصر لها، فكان ﷺ ينفق هذه الأموال على الأيتام والفقراء والمساكين وينام هو على حصير يؤثر في جنبه ﷺ.

والأحاديث الدالة على زهده ﷺ في طعامه وثيابه وسكنه.. إلى غير ذلك كثيرة جدًا شاهدة على ما ذكرناه.

- لقد زهد ﷺ في الدنيا وعلم نساءه كيف يزهدن فيها ، وكذلك أصحابه الكرام من بعده.



وها هى ابنة النبى محمدﷺ فاطمة رضي الله عنها بنت خديجة رضي الله عنها التي أنفقت مالها في خدمته ودعوته، لم يعطها من مال الله ما يقضي حاجتها ويضمن راحتها، حتى ميراث النبي ﷺ فهو صدقة لا يُورث.

اهتمام بالغ بالفقراء ورعاية للضعفاء، فمن أجل هؤلاء تناسى ﷺ نفسه وأهله، ولم يؤثرهم بشيء من حياته، ولم يدخر لهم شيئًا بعد وفاته، ووكلهم جميعًا إلى فضل الله ذو الفضل العظيم.

إنه ﷺ نبي جاء ليرفع أتباعه عن أن يكونوا عبيد الدنيا عبيد المال، جاء ليجعلهم عبيدًا لله وحده، يرضون من الدنيا بالقليل، ويكفيهم ما يتزودون به للآخرة، فرسول الله ﷺ لم يكن طامعًا في ملك أو مال أو جاه.

فالأحاديث التي رُويت عنه ﷺ تشهد بعزوفه عن الدنيا وتواضعه طوال حياته ﷺ ، فماذا كان يبغي؟

وما الغاية التي كان يرمي إليها؟

وهو الذي شهد الجميع بحكمته ورجاحة عقله ﷺ.

فبكل تأكيد ،لا شيء سوى أن يرضي مولاه الذي سيطر على حوائجه وتملك كل جوارحه، لا شيء سوى أن يفوز بحبه وينعم بقربه.

أليس هذا كله يدل على أنه مخلص في دعواه، وأنه كما يقول رسول من عند الله؟

الجواب: بلى، فمحمد ﷺ هو رسول الله حقًّا وصدقًا.



الشاهد السادس : موقف الكفار من الداعي والدعوة ونصر الله لهما

كان موقف الكفار موقف مناوأة ومعاداة منذ اللحظة الأولى، مناوأة ومعاداة للداعي وللدعوة ولمن آمن بالداعي- رسول الله- والدعوة، لقد آذوا رسول الله ﷺ بالقول والفعل أذىً شديدًا، ولقد آذوا أصحابه الذين آمنوا به ﷺ وتفننوا في تعذيبهم والتنكيل بهم، ونماذج ذلك كثيرة تشهد بمدى صبر وصمود رسول الله ﷺ وأصحابه من أجل هذه الدعوة، فهذا بلال من أصحاب رسول الله ﷺ ومؤذن رسول الله ﷺ: كان بلال مولى أمية بن خلف، فكان أمية يضع في عنقه حبلًا، ثم يُسلمه إلى الصبيان يطوفون به جبال مكة حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه، وكان أمية يشده شدًّا، ثم يضربه بالعصا، وكان يلجئه إلى الجلوس في حر الشمس، كما كان يكرهه على الجوع وأشد من ذلك كله:

كان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول:لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى- الأصنام- فيقول بلال رضي الله عنه وهو على ذلك: أحدٌ أحد، ويقصد أن الله سبحانه وتعالى واحد فرد صمد، لا ند له ولا مثيل له ولا شريك.

وغيره الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ الذين لاقوا وعانوا ألوانًا من التعذيب والتنكيل بهم، بسبب اعتناقهم هذا الدين العظيم، ولكن هذا كله لم يرُدَّهم عن دينهم وإيمانهم بدعوة رسول الله ﷺ، فجزاهم الله خيرًا على إيمانهم وصبرهم.

لقد جرب الكفار في حربهم كل سلاح وقعدوا له كل مرصد، وأخيرًا عادوا إلى الإيمان برسالته وتصديق نبوته والالتفاف حول رايته ﷺ.

ولقد جاء بعد رسول الله ﷺ من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب، الذي ادعى أنه نبي واتبعه المنافقون من شدة غيظهم وحقدهم على الإسلام وأهله، فكانوا يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر في صدورهم ويخفونه.





فحارب المسلمون مسيلمة الكذاب ومن اتبعه من المنافقين، فكان النصر من الله للمسلمين وقُتِل مسيلمة الكذاب وهُزِم المنافقون شر هزيمة، أرأيت كيف كانت نهاية مسيلمة الكذاب ودعوته الكاذبة؟

أرأيت كيف قرن الله سبحانه وتعالى بين اسم مُدَّعي النبوة مسيلمة وبين صفته الكذاب، وجمع بينهما وخلدهما في صفحات التاريخ خزيًا له وعقوبة في تلك الدنيا التي نحياها؟

ونلحظ كم كان الفارق بين من كذب في دعواه وافترى على الله الكذب في ادعائه النبوة، وبين من صدق في دعواه وفي تبليغه عن ربه سبحانه وتعالى، فشتان الفارق بينهما.

فلقد نصر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد ﷺ ونصر دعوته، وختم حياته ﷺ بحسن الخاتمة.

فلقد صبر رسول اله ﷺ واصطبر وجاهد جهادًا كبيرًا طويلًا طوال فترة رسالته إلى أن نصره الله سبحانه وتعالى.

وإلى أن نصر الله عز وجل دعوته ﷺ ونشرها إلى أن انتشر هذا الدين العظيم الذي جاء به من قبل ربه تبارك وتعالى.

ولقد خلّد الله سبحانه وتعالى اسم رسوله محمد ﷺ ورفع ذكره بين صفحات التاريخ.

وجمع سبحانه وتعالى بين اسمه جل شأنه واسم رسوله محمد ﷺ وقرن بينهما في كل أذان وفي كل إقامة.

فلا يكاد ينتهي الأذان في مكان ما إلا ويأتي وقته في مكان آخر فيؤذن مرة أخرى وهكذا لنفس تلك الفريضة الواحدة التي قد أُذِّن لأدائها من قبل إلى أن يأتي وقت فريضة أخرى وهكذا.

ففي كل مكان بعد أن انتشر هذا الدين العظيم في كافة أنحاء الأرض التي نحيا عليها نسمع هذا القول الحق والشهادة الصدق:

أشـــــــهد أن لا إلـــــــه إلا الله أشـــــهد أن محمـــــدًا رســـــول الله



فسبحان الله العظيم.

كم كان نصر الله سبحانه وتعالى لمحمد ﷺ طوال حياته وأيضًا بعد مماته، ولم كل هذا؟ لا شك إلا لأنه ﷺ رسول الله من عند الله عز وجل، ولأنه ﷺ خاتم المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وكذلك جمع بين اسم رسول الله ﷺ وبين الثناء عليه ﷺ فلا يكاد يذكر اسم رسول الله ﷺ أو يذكر ضمير يعود على اسمه ﷺ إلا ويقرن بينهما وبين الصلاة عليه ﷺ بأن ندعو الله عز وجل أن يصلي على رسوله ﷺ فهو سبحانه وتعالى الذي يعلم مكانة ومنزلة رسوله ﷺ فصلاة الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ هي ثناء عليه ﷺ .

وكذلك لا يكاد يذكر اسم رسول الله ﷺ إلا ونتذكر لقبه الذي لُقب به قبل بعثته فهو ﷺ الصادق الأمين.

والسؤال الذي يفرض نفسه:

أيمكن أن ينصر الله سبحانه وتعالى محمدًا ﷺ ويؤيده كل هذا التأييد وهو كاذب في دعواه؟

كلا، فالحق أن محمدًا ﷺ له من المكانة العالية والمنزلة الرفيعة لدى ربه سبحانه وتعالى التي استحق بها تأييد ونصر الله سبحانه وتعالى له ﷺ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

أرأيت كيف نصر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ ودعوته؟

أرأيت كيف قرن الله سبحانه وتعالى بين اسمه جل شأنه واسم رسوله محمد ﷺ ورفع له ذكره؟

أرأيت كيف خلد الله سبحانه وتعالى اسم رسوله محمد ﷺ مقترنًا بعظيم صفاته الصدق والأمانة كرامة له ﷺ في صفحات التاريخ؟

فمحمد ﷺ هو رسول رب العالمين وهو خاتم الأنبياء والمرسلين.



الشاهد السابع : معجزات رسول الله ﷺ وأعظمها الكتاب الذي أنزل عليه ﷺ هدى للعالمين – القرآن الكريم–

القرآن الكريم: المعجزة الباقية

يحسُن أن نتحدث أولا: عن الكتاب السماوي الذي أنزل على النبي محمدﷺ (القرآن الكريم) وحِفْظِهِ من الله تبارك وتعالى، ولو بإيجاز شديد:

إن القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الذي ليس بعده أي كتاب سماوي آخر، لذلك فهو مهيمن على جميع الكتب السابقة، وهو المعجزة الكبرى للنبي محمد ﷺ، كما أشرنا بالإضافة إلى الكثير من المعجزات الأخرى، والقرآن الكريم لم ينزل على النبي محمد ﷺ دفعة واحدة، ولكنه ظل ينزل به الأمين جبريل عليه السلام من عند الله سبحانه وتعالى على النبي محمد ﷺ على مدى ثلاثة وعشرين عامًا.

ولقد تكفَّل ربنا تبارك وتعالى بحفظ كتابه العظيم (القرآن الكريم) من أن تمسه أو تناله أيدي البشر بشيء من التحريف أو التبديل كما حدث في الكتب السابقة، حيث إنه ليس بعده أي كتاب سماوي آخر، وليس بعد النبي محمد ﷺ أي نبي آخر.

كيفية حفظ الله عز وجل لكلامه (القرآن الكريم):

لقد كان النبي محمد ﷺ يتلقى القرآن الكريم من ربه جل وعلا عن طريق الوحي، فيحفظه عن ظهر قلب، ثم يُمليه على كُتَّابه، ثم يقرؤه على أصحابه، فيحفظه بعضهم عن ظهر قلب كما حَفِظه نبيهم، فقد كانوا مشهورين بسرعة الحفظ وجودة الذاكرة.

وعندما تُوفي النبي محمد ﷺ كان القرآن الكريم قد حُفِظ كله في صدور كثير من صحابة رسول الله ﷺ، كما كان قد كتب كله فيما تيسَّر لهم الكتابة عليه من العظام والجلود ولِحَى الأشجار، ثم احتفظ الخليفة الأول أبو بكر الصديق بكل هذه الوثائق التي كُتب عليها القرآن كله، ثم احتفظ بها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، ثم أمر الخليفة الثالث عثمان بن عفان بكتابة القرآن الكريم كله في مصاحف، وتوزيعها على البلاد.

فكل ما نرى الآن من نُسخٍ للقرآن الكريم الآن، إنما هي نسخ من هذا المصحف الذي أمر سيدنا عثمان بن عفان بكتابته، وهو الذي يسمى بـ (المصحف الإمام).



لذلك، فإن القرآن الكريم هو الكتاب المحتفِظ بإطاره الربَّاني الصالح لهداية الناس أجمعين، ومما يدلل على ذلك:

١ – أن القرآن الكريم غير متناقض، وليس بمُخالف للواقع.

فلا يمكن أن يكون الكتاب المحفوظ من الله عز وجل قد اعتراه أي اختلاف أو تناقض؛ لأن الاختلاف والتناقض نقص، والله تعالى مُنزَّه عن كل نقص، ولأن وقوع الاختلاف أمر لازم لكل ما هو من تأليف البشر، فإذا كان وجود الاختلاف والتناقض يدل على ما هو من صناعة البشر، فإن عدم وجود الاختلاف والتناقض به –القرآن الكريم– يدل على أنه من عند الله عز وجل.

ولا يمكن للكتاب المحفوظ من الله عز وجل أن يُقرِّر شيئًا يكون الواقع بخلافه؛ لأن الإله الذي خلق الكون هو أعلم بما خلق، وحاشاه أن يكذب على عباده، فيخلق الواقع على هيئة، ثم يكون خبره عنها مخالفًا لها.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٢– أن القرآن الكريم يدعو إلى مكارم الأخلاق، وليس في دعوته ما يُخالف هذه الأخلاق الحميدة التي فطرنا الله عز وجل عليه.

٣– أن القرآن الكريم ليس فيه ما يُناقض القواعد العقلية التي فطرنا الله عز وجل عليها، وغير ما ذكرنا الكثير والكثير من الدلائل القاطعة والبراهين الدامغة على أن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، الذي تعهد ربنا تبارك وتعالى بحفظه إلى يوم الدين.

من معجزات القرآن الكريم ، والحقائق العلمية التى أخبر بها منذ أكثر من ١٤٠٠ عام :

- بلاغته وروعة معانيه ودقة ائتلاف ألفاظه وسمو أهدافه ومراميه ، وتحديه للعرب كافة بأن يأتوا ولو بسورة واحدة من مثله، وكلهم عجزوا وخابوا وفشلوا، ولم يجرءوا على قبول هذا التحدي، وهم (العرب)الذين عرفوا بالبلاغة واللسن والفصاحة، فالقرآن الكريم ليس بصناعة بشرية، بل هو كلام الخالق العظيم تبارك وتعالى.
- وذلك بالإضافة إلى الحقائق العلمية التي أخبر بها وأشار إليها منذ أكثر من ١٤٠٠ عام :



ومن براهين ذلك:

قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فلننظر إلى هذه الكلمة ﴿يَصَّعَّدُ﴾ وهذا الحرف المشدد بها، والتي تنقل إلينا صورة من أراد الله سبحانه وتعالى أن يضله بشكل واضح –صورة كاملة لحالته– فكأنه يرتفع إلى طبقات الجو العليا، حيث ينخفض الضغط الجوي، وهو ما يسبب الشعور بالضيق، وصعوبة التنفس، وهي حقيقة علمية لم تُكتشف إلا في هذا العصر الحديث، أشارت إليه وأوضحته (٣) ثلاث كلمات فقط في هذه الآية الكريمة.

وهذه الكلمات منها كلمتان ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ تصفان حالة الصاعد في السماء وأن صدره يكون ضيقًا حرجًا، والكلمة الثالثة ﴿يَصَّعَّدُ﴾ حيث إن الحرف المشدد بها يوضح كيف أن حركة الصعود ليست سهلة، بل إن الصاعد يجد المشقة في صعوده إلى السماء بسبب ما يعانيه من انخفاض كبير في الضغط الجوي [(١)].

فكم تبلغ دقة ألفاظ القرآن الكريم، بل حروفه؟!

فتكون شاهدًا على أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى.

وغير ذلك الكثير والكثير من الحقائق العلمية الغيبية المبهرة التي كشف عنها وأخبر بها القرآن الكريم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام والتي لم يكن يعلمها أحد.

وللعلم بمزيد من هذه الحقائق العلمية المبهرة التي أشار إليها القرآن الكريم وأخبر بها منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، والتي لم يكن لأحد أدنى معرفة بها أو أدنى تصور لها الرجوع إلى:

١- كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة، لدى هيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة.

٢- كتاب إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، للأستاذ/ كريم نجيب الأغر.

---

(١) من كتاب: الدين الحق بالأدلة القاطعة، الذى تم مراجعة مادته العلمية بهيئة الإعجاز العلمى للقرآن والسنة بمكة المكرمة.





٣- مجموعة كتب: من آيات الإعجاز العلمي (السماء، الأرض، الحيوانات، النباتات) في القرآن الكريم، للدكتور/ زغلول النجار- أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية، وزميل الأكاديمية الإسلامية، وعضو مجلس إدارتها، ورئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

٤- والرجوع إلى: مجموعة الأشرطة المسجلة:

موسوعة الإسلام والعلم الحديث.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم للدكتور زغلول النجار.

ومن معجزات النبى محمد ﷺ إخباره بحقائق علمية غيبية كثيرة لم يكن لأحد أدنى معرفة بها منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، ثم يأتي العلم الحديث ليكتشف صدق ودقة ما أخبر به المصطفى ﷺ .

ومن هذه الحقائق العلمية الغيبية التي أخبر بها رسول الله ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : ((كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب)) [رواه مسلم].

معنى الحديث الشريف:

أن أجساد الأموات بعد تحللها في قبورها إلى مكوناتها الأساسية من الماء والتراب يبقى منها شيء مهم: وهي عظمة مثل حبة الخردل، منها خلق، وفيه يركب يوم البعث، مما يوحي بأنها أهم ما في جسد الإنسان من مكونات وهذه العظمة لا يأكلها التراب، بمعنى أنها لا تبلى.

وقد اكتشف العلم الحديث أن هذه العظمة- عجب الذنب- لا تبلى ولا يأكلها التراب كما أخبر رسول الله ﷺ وأن هذه العظمة هي التي تبقى من الميت بعد تحلل جسده.

واكتشف العلم الحديث أيضًا أن الخلق يركب منه عجب الذنب في مرحلة الجنين وفي سنة ١٩٣٥م مُنح- سبيمان- جائزة نوبل في العلوم الحياتية لاكتشافه المنظم الأول وإثبات





دوره في تخليق جميع أنسجة وأعضاء وأجهزة الجنين وبأنه لا يبلى أبدًا، فأثبت بذلك دقة أحاديث- عجب الذنب- التي نطق بها خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

مُنح سبيمان جائزة نوبل ظنًّا منهم بأنه أول من اكتشف المنظم الأول وإثبات دوره في تخليق جميع أنسجة وأعضاء وأجهزة الجنين، وبأنه لا يبلى أبدًا.

لكنهم لم يعلموا أن أول من نطق بهذه الحقيقة العلمية هو سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام [١].

والسؤال الذي يفرض نفسه: من الذي علم المصطفى ﷺ هذا العلم؟

وما الذي اضطره ﷺ للخوض في مثل هذه القضايا الغيبية والتي لم يكن يعلمها أحد؟

لولا أن الله سبحانه وتعالى يعلم بعلمه المحيط أنه سوف يكتشف صدق ودقة ما أخبر به رسوله ﷺ في يوم من الأيام فتكون أحاديث المصطفى ﷺ ومضة مبهرة وشاهدة حق بأنه رسول من عند الله عز وجل وأنه ﷺ كان متصلًا بالوحي ومعلمًا من قِبَل هذا الخالق العظيم الله رب العالمين.

وغير هذا الحديث الكثير والكثير من أحاديث رسول الله ﷺ التي تشير إلى العديد من الحقائق العلمية وتخبرنا بها منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، والتي لم يكن يعلمها أحد، فكانت سببًا في اعتناق الكثير والكثير من علماء الغرب لهذا الدين العظيم الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ .

وللعلم بمزيد من هذه الحقائق العلمية المبهرة التي أخبرنا بها رسول الله ﷺ منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام الرجوع إلى:

---

(١) الإعجاز العلمى فى السنة النبوية للدكتور/زغلول النجار القرآن الكريم





١- الأجزاء ١-٢-٣ للإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور/ زغلول النجار، أستاذ علوم الأرض بعدد من الجامعات العربية والغربية وزميل الأكاديمية الإسلامية للعلوم وعضو مجلس إدارتها ورئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة.

٢- الرجوع إلى مجموعة الأشرطة المسجلة:

موسوعة الإسلام والعلم الحديث.

الإعجاز العلمي في القرآن الكريم. (للدكتور/ زغلول النجار)

٣- كتاب علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة بهيئة الإعجاز العلمي للقرآن والسنة بمكة المكرمة.

٤- إعجاز القرآن فيما تخفيه الأرحام، للأستاذ/ كريم نجيب الأغر.

لذلك ، فإن ما أشرنا إليه بإيجاز شديد يشهد بأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو رسول الله حقا وصدقا.

ومن معجزات رسول الله ﷺ التي تشهد برسالته : دعاؤه ﷺ المستجاب

لقد كان رسول الله ﷺ مستجاب الدعوة، يقبل الله سبحانه وتعالى منه ﷺ دعاءه ويجيبه له.

فإن لم يكن دعاء رسول الله ﷺ يُستجاب من قبل ربنا تبارك وتعالى فدعاء من!

ومن معجزات رسول الله ﷺ التي تشهد برسالته : المعجزات الحسية له ﷺ

لقد جمع الله سبحانه وتعالى لرسوله محمد ﷺ بين نوعي المعجزات: المعنوية والحسية.

والمعجزات الحسية للنبى محمد ﷺ ، والتى قد أيده الله تبارك وتعالى بها لتكون شاهدة عل مصداقية رسالته كثيرة جدا ،ولكننا سوف نكتفى بالتعليق على هذه المعجزة وهي:





معجزة انشقاق القمر.

قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

عن أنس بن مالك: أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما. [رواه البخاري].

لقد أخبرنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه العظيم- القرآن الكريم- بانشقاق القمر لتكون آية لرسوله الخاتم محمد ﷺ وبرهان على صدق رسالته ﷺ، وذلك عندما طلب أهل مكة من رسول الله ﷺ أن يريهم أية تشهد بصدق نبوته ورسالته- يعني: أن يريهم من خوارق العادات ما يدل على نبوته، وصدق ما جاء به-.

فأراهم ﷺ القمر وقد انشق شقين بإذن من الله سبحانه وتعالى، كل منهما في مكان فقال لهم رسول الله ﷺ: ((اشهدوا)).

ومن رحمة ربنا تبارك وتعالى أن يبقي لنا من أثر هذه المعجزة العظيمة ما يدل على حدوثها ويؤكد ذلك، فيدخل الناس في هذا الدين العظيم- الإسلام- أفواجًا ويؤمنوا برسوله الخاتم محمد ﷺ الذي أرسل للناس كافة في كل مكان وزمان.

ولنعرض هذه القصة الواقعية التي يقصها لنا الدكتور/ زغلول النجار، فنتعرف من خلالها على ما تم اكتشافه وثبوته:

وهي قصة إسلام شاب بريطاني كان اسمه – ديفيد موسى بيدكوك- فأصبح بعد اعتناقه وقبوله الإسلام دينًا: داود موسى بيدكوك-.

وقف هذا الشاب البريطاني وعرَّف بنفسه باسم داود موسى بيدكوك وبمنصبه كرئيس للحزب الإسلامي.

وكان ذلك عقب محاضرة للدكتور/ زغلول النجار عن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ألقيت باللغة الإنجليزية في كلية الطب بجامعة كاردف عاصمة مقاطعة ويلز في غربي الجزر البريطانية في حوار ممتع مع جمهور الحضور من المسلمين وغير المسلمين.





فكان من جملة الأسئلة التي أثيرت من أحد الحضور:

سؤال عن واقعة انشقاق القمر كما جاء ذكرها في مطلع سورة القمر وهل تمثل لمحة من لمحات الإعجاز العلمي في كتاب الله القرآن الكريم؟

وبعد إجابة الدكتور/ زغلول النجار على هذا السؤال وفراغه من الإجابة عليه قام هذا الشاب واستأذن في إضافة شيء إلى ما قاله الدكتور، فأذن له.

وكما ذكرنا عرف هذا الشاب بنفسه وبمنصبه ثم قال: إن هذه الآية كانت مدخلي لقبول الإسلام دينًا، فقد شغفت بعلم مقارنة الأديان وأهداني صديق مسلم نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم فأخذتها منه شاكرًا وتوجهت بها إلى مسكني، وعند تصفحها لأول مرة فوجئت بسورة القمر فقرأت ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

ثم توقفت متسائلًا: كيف يمكن للقمر أن ينشق ثم يعود ليلتحم؟ وما هي القوة القادرة على إعادته إلى سيرته الأولى؟

فتوقفت عن القراءة وكأن هذه الآية قد صدتني عن الاستمرار في ذلك.

ولكن لعلم الله سبحانه وتعالى بمدى إخلاصي في البحث عن الحقيقة وحرصي على الوصول إليها أجلسني أمام التلفاز لأشاهد حوارًا بين مذيع بريطاني يعمل بقناة التليفزيون البريطاني B.B.C.

واسمه جيمس بيرك James Burck وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكيين، وجرى عتاب من هذا المذيع على الإسراف المخل في الإنفاق على رحلات الفضاء في الوقت الذي تتعرض جماعات بشرية عديدة لأخطار المجاعات والأمراض وانتشار الأمية بين البالغين، ولمختلف صور التخلف العمراني والعلمي والتقني، وأنه كان من الأولى: إنفاق هذا المال الوفير في معالجة تلك القضايا الملحة وإعمار الأرض، فضلًا عن التسابق في رحلات الفضاء.





ووقف علماء الفضاء مدافعين عن مهنتهم بأن الإنفاق على رحلات الفضاء ليس مالًا مهدرًا؛ لأنه يعين على تطوير عدد من التقنيات المتقدمة التي تطبق في مختلف المجالات الطبية والصناعية والزراعية.

ويمكن أن تعود بمردودات مادية وعلمية كبيرة، وفي غمرة هذا الحوار جاء ذكر رحلة إنزال رجل على سطح القمر على أنها كانت من أكثر هذه الرحلات كلفة، فقد تكلفت عشرات المليارات من الدولارات فسأل المحاور:

هل كان كل ذلك لمجرد وضع العَلَم الأمريكي على سطح القمر؟

وجاءت الإجابة بالنفي، وأن الهدف كان دراسة علمية لأقرب أجرام السماء إلينا، فسأل المحاور: ألم يكن من الأجدى إنفاق تلك المبالغ الطائلة على عمارة الأرض؟

وجاء الجواب: بأن الرحلة أوصلتنا إلى حقيقة علمية لو أنفقنا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقنا أحد.

فسأل المحاور: وما هذه الحقيقة العلمية؟

فكان الجواب: أن هذا القمر قد انشق في يوم من الأيام، ثم التحم بدليل وجود تمزقات طويلة جدًا وغائرة في جسم القمر تتراوح أعماقها بين عدة مئات من الأمتار وأكثر من الكيلو متر.

وأعراضها بين النصف كيلو متر وخمسة كيلو مترات، وتمتد إلى مئات من الكيلو مترات في خطوط مستقيمة أو متعرجة، وتمر هذه الشقوق الطويلة الهائلة بالعديد من الحفر التي يزيد عمق الواحدة منها على تسعة كيلو مترات ويزيد قطرها على الألف كيلو متر، ومن أمثلة الحفر العميقة المعروفة باسم بحر الشرق--Mare Orientalis وقد فسرت هذه الحفر العميقة باصطدام أجرام سماوية بحجم الكويكبات.

أما الشقوق التي تعرف باسم شقوق القمر Rimaccr Lunar Rilles.





فقد فسرت على أنها شروخ ناتجة عن الشد الجانبي أو متداخلات نارية على هيئة الجدد القاطعة ولكن أمثال هذه الأشكال على الأرض لا تصل إلى تلك الأعماق الغائرة، ومن هنا فقد فسرت على أنها آثار انشقاق القمر وإعادة التحامه.

ويقول داود موسى بيدكوك:

حين سمعت هذا الكلام انتفضت من فوق الكرسي الذي كنت أجلس عليه أمام التلفاز وتساءلت: معجزة تحدث لمحمد ﷺ من قبل ألف وأربعمائة عام يثبتها العلم في زمن التقنية الذي نعيشه بهذه البساطة وبهذا الوضوح الذي لا يخفى على عالم في مجال الفلك اليوم.

فلابد أن يكون القرآن حقًّا مطلقًا وصادقًا صدقًا كاملًا في كل خبر جاء به، وعلى الفور عاودت القراءة في ترجمة معاني القرآن الكريم.

وكانت هذه الآية التي صدتني في بادئ الأمر عن الاستمرار في قراءة هذا الكتاب المجيد هي مدخلي لقبول الإسلام دينًا [١].

ويقول الدكتور/ زغلول النجار:

ولا أستطيع أن أصف وقع هذه الكلمات ووقع النبرة الصادقة التي قيلت بها على كل الحضور من المسلمين وغير المسلمين.

فقد هزت القلوب والعقول وأثارت المشاعر والأفكار.

ولم أجد ما أقوله أبلغ من أن أردد قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فرسول الله محمد ﷺ هو رسول الله حقا وصدقا.

(١) من آيات الإعجاز العلمي، للدكتور/ زغلول النجار، السماء في القرآن الكريم.





ومن دلائل النبوة والرسالة : أخلاق النبي محمد ﷺ

لقد شهد الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ من فوق سبع سماوات بحسن صفاته وعظيم أخلاقه ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وإليك موجز سريع لبعض من صفاته ومكارم أخلاقه الطاهرة ﷺ:

١- الصدق.

٢- الأمانة: وهاتان الصفتان- الصدق والأمانة- لقب بهما رسول الله ﷺ من قبل بعثته فكان يلقب ﷺ بالصادق الأمين.

٣- الحياء: كان ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدرها، فكان ﷺ خافض الطرف لا يثبت نظره في وجه أحد.

٤- الجود والكرم: كان ﷺ أجود الناس وأكرمهم على الإطلاق فكان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

٥- العفو: كان ﷺ يعفو عمن أساء إليه ويصفح مع مقدرته ﷺ.

٦- الرحمة: كان ﷺ رحيمًا بالمؤمنين وبأعدائه وبالناس أجمعين، فلقد زكاه الله سبحانه وتعالى فقال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

٧- صلة الرحم: فكان ﷺ أوصل الناس للرحم وأعظمهم شفقة ورأفة.

٨- الوفاء: كان ﷺ يفي بعهده في السلم والحرب لا ينقضه ولا يغدر ويحفظ لغيره جميل صنعه.

٩- الإيثار: كان ﷺ يؤثر ويفضل غيره على نفسه، فكان ﷺ يؤثر ويفضل ما عند الله عز وجل الباقي على متاع الدنيا الفاني الزائل.





١٠- العدل: كان ﷺ يطبق العدل على نفسه وبين أهله ويحرص على ذلك كل الحرص.

١١- رجاحة العقل: كان ﷺ حصيف العقل، واسع الفكر، بعيد النظر، زكي الفؤاد، سريع البديهة يعالج ما يعترضه من مشكلات علاجًا يوحي بحكمته الباهرة ودقته الماهرة وفطنته التي لا حد لها.

١٢- الشجاعة: فدعوته وغزواته ﷺ برهان لشجاعته ﷺ.

١٣- الحلم: كان ﷺ حليمًا أبلغ ما يكون الحلم، واسع الصدر لا يغضب إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل.

١٤- التواضع: كان ﷺ أبعد الناس عن الكبر فكان ﷺ يمنع القيام له كما يقام للملوك، يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويقبل دعوة العبد.

١٥- الصبر: كان ﷺ صابرًا أجمل ما يكون الصبر، فلقد صبر واصطبر إلى أن انتشرت دعوته، وإلى أن نصره الله سبحانه وتعالى.

١٦- التشاور: كان ﷺ يشاور أصحابه ويشركهم معه، فلا يتجاهلهم، ويأخذ برأي أصوبهم.

١٧- الزهد: كان ﷺ زاهدًا قانعًا، أغناه الله سبحانه وتعالى ولكنه ﷺ آثر أن يكون زاهدًا قانعًا.

١٨- التقوى: كان ﷺ أخشى الناس لله عز وجل، يأتمر بأوامره سبحانه وتعالى ولا يتعدى حدوده سبحانه وتعالى.

١٩- حسن المعاشرة: كان ﷺ حسن العشرة يؤنس من يعاشره ويتألف قلبه ويتودد إليه ويلاطفه.

٢٠- جميل الصحبة: كان ﷺ يسأل عن أصحابه إذا غابوا، ويعودهم إذا مرضوا، ويعينهم إذا احتاجوا.





٢١- كريم النفس: كان ﷺ طيب النفس ليس بالحقير ولا بالخبيث.

وهذا قليل من كثير في أخلاق رسول الله ﷺ والمواقف التي تشهد بكل ما ذكرناه عديدة وكثيرة ولكن سنكتفي بما أوجزناه سريعًا.

لقد أعدت العناية الإلهية جسمًا وعقلًا وروحًا وخلقًا، وأمدته بما يعينه على حمل رسالة الخير والنور والهدى والحق والفضيلة إلى العالم في عصره وإلى ما شاء الله.

فمحمدٌ ﷺ هو رسول الله حقًا وصدقًا.



ومن دلائل نبوة النبى محمدﷺ : حاله ومنطقهﷺ

وإليك موجز سريع لبعض من صفات حال النبى محمدﷺ ومنطقه:

١- كان ﷺ دائم الفكر.

٢- كان ﷺ طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة.

٣- يفتتح الكلام ويختتمه باسم الله تعالى ولا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله عز وجل.

٤- يتكلم بجوامع الكلم- كلام قليل يفهم ويستنبط منه الكثير-.

٥- كلامه ﷺ فصل بين الحق والباطل، لا فضول ولا تقصير.

٦- نظره ﷺ إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء.

٧- ليس بالجافي- أي: ليس بغليظ الطبع-.

٨- ليس بالمهين- أي ليس بالحقير-.

٩- لا يغضب لنفسه وإنما كان غضبه لله سبحانه وتعالى.

١٠- كان ﷺ ضحكه التبسم.

١١- كان ﷺ يداعب أصحابه ويمازحهم ولا يقول إلا الحق.

وهذا قليل من كثير في حسن صفاته وحلاوة منطقة ﷺ.

فمحمد ﷺ هو رسول الله حقًا وصدقًا.



ومن دلائل نبوة النبى محمدﷺ : كمال خِلقتهﷺ

تكمل شخصية المرء بكمال خلقته وجسمه وخلقه، وقد بلغ رسول الله ﷺ كل هذا، فهو ﷺ صفوة بني آدم، اصطفاه ربنا تبارك وتعالى واختاره لهذه الرسالة السماوية العظيمة التي بعثه بها، وإليك موجز سريع لبعض الصفات الخلقية لرسول الله ﷺ:

١- كان ﷺ ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه يتلألأ وجهه ﷺ تلألؤ القمر ليلة البدر.

٢- وسيم قسيم- أي حسن جميل-.

٣- أزهر اللون- أبيض مشرب بحمرة- أبيض الوجه، مليح الوجه.

٤- كان في الوجه تدوير كالقمر ليلة البدر.

٥- لم يكن بالمطهم- أي لم يكن منتفخ الوجه.

٦- سهل الخدين.

٧- أكحل العينين وليس بأكحل- أي: إذا رأيته ونظرت إليه قلت أنه أكحل العينين من جمالهما الطبيعي وليس هذا بسبب إضافة الكحل-.

٨- أشكل العين- أي: طويل شق العين، في عينيه دعج- الدعج هو شدة سواد العين وبياض البياض-.

٩- في أشفاره وطف- أي في شعر أجفانه طول يزيد عينيه ﷺ حلاوة وجمالًا.

١٠- أزج الحواجب- أي: أن الحاجبان رقيقان في الطول- من غير اتصال بينهما.

١١- أنجل- واسع العينين مع حسنهما-.

١٢- واسع الجبين:- أي الجبهة-.

١٣- أقنى الأنف، رفيعه- أقنى الأنف: مرتفع قصبة الأنف مع احديداب يسير فيها-، غير قصيرة، دقيقة الأرنبة.





١٤- أجمل الناس شفاه، عظيم الفم.

١٥- أفلج الثنايا- أي التباعد بين أسنان المقدمة- ، إذا تكلم ﷺ رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه.

١٦- رجل الشعر- أي وسط بين التجعد والسبوطة-، شديد سواد الشعر.

١٧- لم تزر به صعلة- أي: لم يكن ﷺ صغير الرأس-.

١٨- كث اللحية- غزير شعرها-.

١٩- عنقه ﷺ كأنها جيد دمية في صفاء الفضة.

٢٠- مقصدًا- ليس بجسيم ولا نحيف ولا طويل ولا قصير- ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله.

٢١- سواء الصدر والبطن- أي: بطنه كصدره في الارتفاع-.

٢٢- متماسك البدن، ضرب اللحم- أي ليس في اللحم استرخاء-، منهوس العقب- قليل اللحم-.

٢٣- عظيم المنكبين- الكتفين-.

٢٤- واسع الصدر، فلا يغضب لنفسه قط، بل كان ﷺ غضبه لله سبحانه وتعالى.

٢٥- كان ﷺ في ساقيه حموشة أي: لطافة تتناسب مع سائر أعضاء جسمه ﷺ.

٢٦- لم تعبه ثجلة- أي: لا تعبه صخامة بدن-.

٢٧- عرقه ﷺ كأنه اللؤلؤ، وقالت أم سليم هو من أطيب الطيب.

٢٨- في صوته صحل: البحة والرخاوة التي تزيد الصوت جمالًا وإجلالًا، حسن الصوت، إذا صمت ﷺ علاه الوقار وإذا تكلم ﷺ علاه البهاء.

٢٩- إذا غضب ﷺ احمر وجهه كأنما فقيء وجنتيه حب الرمان.



٣٠- كان ضحكه ﷺ تبسمًا، ليس عابسًا.

٣١- أطيب الناس ريحًا.

٣٢- بين كتفيه ﷺ خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة يشبه جسده ﷺ.

٢٣- أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأحلاهم من قريب، غصن بين غصنين، فهو ﷺ أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإذا أمر تبادروا أمره.

٣٤- ويقول علي بن أبي طالب بعدما نعت رسول الله ﷺ: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ. [جامع الترمذي مع شرحه، تحفة الأحوذي، وابن هشام].

٣٥- قال البراء في وصفه لرسول الله ﷺ: كان أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا.

وسُئل: أكان وجه النبي ﷺ كالسيف، قال: لا، بل مثل القمر. [صحيح مسلم].

٣٦- وقال جابر بن سمرة: رأيته في ليلة أضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر وعليه حلة حمراء، فإذا هو أحسن عندي من القمر. [رواه الترمذي في الشمائل].

٣٧- وقال كعب بن مالك: كان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر. [صحيح البخاري].

٣٨- قالت الربيع بنت معوذ: لو رأيته قلت الشمس طالعة. [رواه الدارمي، مشكاة المصابيح].

٣٩- ومن قول أبي هريرة في وصف رسول الله ﷺ: ما رأيت شيئًا أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه، وما رأيت أحدًا أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، وإنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث. [جامع الترمذي مع شرحه تحفة الأحوذي].

٤٠- قال أنس: ما مسست حريرًا ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ وما شممت ريحًا قط أو عرفًا قط أطيب من ريح أو عرف رسول الله ﷺ. [صحيح البخاري ومسلم].

وفي رواية: ما شممت عنبرًا قط ولا مسكًا ولا شيئًا أطيب من ريح أو عرق رسول الله ﷺ.

فصلوات الله وتسليماته على خاتم أنبياءه ورسله محمد ﷺ .



شهادات العباقرة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ

إن ما قدمناه بإيجاز يشهد لرسول الله محمدﷺ بالنبوة والرسالة، وفي عصرنا الحديث أثنى عباقرة المفكرين على دعوته ﷺ وأشادوا بفضل رسالته ﷺ وهذه بعض شهاداتهم:

١- قال لامارتين: الكاتب والمؤرخ الفرنسي- رئيس الحكومة الموقعة بعد ثورة فبراير والمتوفى سنة ١٨٦٩:

كان محمد حكيمًا بليغًا فيلسوفًا خطيبًا ورسولًا معلمًا ومحاربًا شجاعًا، ومفكرًا عظيمًا، مصيبًا في أفكاره وتعاليمه، أسس إمبراطورية روحية متحدة قوية، وإذا أردنا أن نبحث عن إنسان عظيم تتحقق فيه جميع الصفات العظيمة الإنسانية فلن نجد أمامنا سوى محمد الكامل.

٢- وقال ليونارد:

ليس على الأرض إنسان عرف ربه معرفة حقه كما عرفه محمد، لقد وهب ابن الجزيرة العربية حياته كلها لعبادة الله بإيمان قوي وغرض نبيل، وهذا الأمر لا ريب فيه، إن محمدًا أعظم البشرية قاطبة وأعظم إنسان وُجد على الأرض منذ بدء الخليقة.

٣- وقال توماس أرنولد: المستشرق الإنجليزي المولود سنة ١٨٦٤، والمتوفى سنة ١٩٣٠ في كتابه- دعوة الإسلام-:

باشر محمد ﷺ سلطة زمنية كالتي يباشرها أي زعيم آخر مع فارق واحد وهو: أن الرباط الديني بين المسلمين كان يقوم رابطة الدم والأسرة، فأصبح الإسلام نظامًا سياسيًا بقدر ما هو نظام ديني، ولما نشر محمد ﷺ دينًا جديدًا أقام نظامًا سياسيًا له صبغة متميزة تمامًا، وكانت جهوده موفقة إلى اعتقاد بني وطنه بوحدانية الله، وإلى هدم نظام الحكم القديم مسقط رأسه، فقضى على الحكومة الأرستقراطية القبلية التي كانت الأسرة الحاكمة تتوزع سياسة الشئون العامة تحت لوائها.





وغيرها الكثير من شهادات عباقرة المفكرين أمثال:

١- جونسون في «أديان الشرق» .

٢- والمستشرق المؤرخ- السير وليم الإنجليزي المتوفى سنة ١٩٠٥ في- حياة محمد-.

٣- توماس كارليل الفيلسوف الإنجليزي المولود سنة ١٧٩٥، والمتوفى سنة ١٨٨١ في كتاب «الأبطال» عن الرسول ﷺ.

٤- الفيلسوف الروسي تولستوي المولود سنة ١٨٢٨ والمتوفى سنة ١٩١٠.

٥- الفرد مارتين في كتابه «أكبر زعماء الدين في الشرق».

وغيرهم الكثير ممن شهدوا لهذا الرسول الخاتم محمد ﷺ.

وفي دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشر:

-كان محمد أظهر الشخصيات الدينية العظيمة وأكثرها نجاحًا وتوفيقًا، ظهر النبي محمد في وقت كان العرب فيه قد هووا إلى الحضيض، فما كانت لهم تعاليم دينية محترمة ولا مبادئ مدنية أو سياسية أو اجتماعية، ولم يكن لهم ما يفاخرون به من الفن أو العلوم، وما كانوا على اتصال بالعالم الخارجي، وكانوا مفككين لا رابط بينهم، كل قبيلة وحدة مستقلة، وكل منها في قتال مع الأخرى، وقد حاولت اليهودية أن تهديهم فما استطاعت وباءت محاولات المسيحية بالخيبة كما خابت جميع المحاولات السابقة للإصلاح، ولكن النبي محمدًا ﷺ أُرسل هدى للعالمين، فاستطاع في سنوات معدودات أن يقتلع جميع العادات الفاسدة من جزيرة العرب، وأن يرفعها من الوثنية المنحطة إلى التوحيد وحوَّل أبناء العرب -الذين كانوا أنصاف برابرة- إلى طريق الحق والفرقان، فأصبحوا دعاة هدى ورشاد بعد أن كانوا دعاة وثنية وفساد، وانتشروا في الأرض يعملون على إعلاء كلمة الله.

وغير ما أشرنا إليه الكثير والكثير من شهادات العباقرة والمفكرين لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ،فمحمد ﷺ هو رسول الله حقًا وصدقًا.



العلماء يشهدون : شهادات العلماء في شتى المجالات برسالة محمد ﷺ

وأنه ﷺ رسول الله حقًا وصدقًا

ومن هؤلاء الذين شهدوا لهذا الرسول الخاتم محمد ﷺ بالرسالة:

١- كيث إل مور الكندي: رئيس قسم التشريح بجامعة تورنتو بكندا ورئيس الاتحاد الكندي الأمريكي لعلماء التشريح والأجنة وكتابه:

(Developing Human) ،الذي تُرجم لثمان لغات، وقد حاز على جائزة أحسن كتاب ألفه مؤلف واحد.

والحمد لله طبع من هذا الكتاب طبعات عديدة بالإضافات الإسلامية بعنوان:

Developing Human with Islamic Additions وينتشر الآن بين يدي العلماء وهو من أشهر علماء الأجنة.

يقول عندما رأى الآيات القرآنية الكثيرة التي تتحدث عن تفاصيل تطورات الجنين في بطن أمه وتؤكدها، أعلن عن رأيه بوضوح وقال:

إن هذه الأدلة حتمًا جاءت لمحمد ﷺ من عند الله، وإن هذا يثبت لي أن محمدًا رسول الله ﷺ.

٢- **جولي سيمبسون**: أستاذ أمراض النساء والولادة بجامعة نورث بوسطن بشيكاغو.

و تي في إن بارسان: رئيس قسم التشريح بمينيتوبا بكندا، ومؤلف مشهور في علم أمراض النساء.

لقد اهتما جدًّا بحديثان لرسول الله ﷺ عن النطفة وهما:

الحديث الأول:



قال رسول الله ﷺ: «إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكًا فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: أي رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء» [رواه مسلم: ٤٧٨٣].

سبحان الله! بالعدد وبالأرقام يرى الإنسان اليوم أن ما ينطق به النبي ﷺ هو الوحي من عند الله سبحانه وتعالى، فلا يظهر الشكل الآدمي في الجنين إلا مع بداية الأسبوع السابع- أي بعد مرور ثنتان وأربعون ليلة كما أخبر المصطفى ﷺ- وهنا نعرف معنى قول النبي محمد ﷺ ((فصورها)).

فهو ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

والحديث الثاني:

قال رسول الله ﷺ: ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا)) [رواه البخاري].

وهنا في الحديث الشريف يشير رسول الله ﷺ إلى مدة جمع خلق الإنسان في بطن أمه.

أما في الحديث الأول، فهو ﷺ يشير إلى تصوير النطفة، وخلق سمعها، واهتم أيضًا هذان العالمان بقول الله- سبحانه وتعالى-: ﴿ مِن نُطفة خَلَقَهُ فَقَدَّره ﴾ [عبس: ١٩].

ومعنى هذه الآية الكريمة:

أن الإنسان مقدر بكل صفاته في هذه النطفة، وبالفعل فلون الشعر ولون الجلد محدد في الجينات التي تحملها الكروموسومات في هذه النطفة، وبعد دراستهما المتأنية ،

وقف الأول (جولي سيمبسون) في أحد المؤتمرات قائلًا:

إن بإمكان الدين أن يقود العلم قيادة ناجحة، وإن هذا مما يدل على أن القرآن هو كلام الله.

أما الثاني (تي في إن بارسان)كان من تعليقه ما يلي:



إن محمدًا ﷺ والذي يصرح بتصريحات علمية مدهشة لا يمكن أن يأتي بها مصادفة، ولكن لا بد أن يكون هذا إلهامًا ووحيًا قاده إلى هذه البيانات.

٣- تاجاثات تاجاسن: عميد كلية الطب بجامعة تشاي ماي بتيلاند:

فبعد دراسته لمعجزات القرآن الكريم، والتي استمرت لمدة سنتين، وقف في أحد المؤتمرات يشرح كيف أن دقائق عجيبة مما وصل إليها العلم الحديث موجودة في كتاب الله سبحانه وتعالى واختتم كلمته قائلًا:

إنه هذا يثبت لي يقينًا أن آيات القرآن جاءت لمحمد ﷺ من الخالق العليم بكل شيء، وأرى أنه قد آن الوقت أن أعلن أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وقد أصبحت مسلمًا من الآن.

وغيرهم الكثير والكثير من العلماء في شتى المجالات العلمية الذين شهدوا لهذا الرسول الخاتم بالرسالة وبصدق نبوته ﷺ.

فمحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والقرآن الكريم الذي أنزله ربنا تبارك وتعالى عليه هو المعجزة الباقية إلى قيام الساعة شاهدًا لهذا الرسول الأمين،

فمحمد ﷺ هو رسول الله حقًا وصدقًا.



لماذا أسلم هؤلاء ؟

لقد تبيّن لنا مما سبق أن الإسلام هو دين الله عز وجل الذي أرسل به جميع أنبياءه، ورسله للدعوة إليه خاتمًا لهم بمحمد ﷺ نبيًا ورسولا، مُنزِّلًا عليه المعجزة الكبرى، ألا وهو كتابه الباقي (القرآن الكريم) مُهيمنًا على جميع الكتب السابقة، فليس بعد نزول القرآن الكريم أي كتاب سماوي آخر.

ولقد امتنّ الله تبارك وتعالى على الكثير والكثير بتوفيقهم وهدايتهم إلى الإسلام دينا، والتصديق بمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، والإيمان بمصداقية القرآن الكريم المنزّل عليه، وقد أوضحنا ذلك في السابق، فالإسلام هو الأسرع نموًا في العالم وذلك وفقًا للإحصاء العالمي.

وبمشيئة الله تعالى سوف نوضح بعض النماذج من هؤلاء الكثيرين الذين هداهم الله تعالى للإسلام، مُبيِّنين كيف أحسن هؤلاء استخدام وتوظيف ما قد وهبهم الله تعالى من نعمة العقل.

ومن هؤلاء الذين قد أسلموا لله تبارك وتعالى:

١- عالم الرياضيات والمنصّر السابق، الدكتور: جاري ميلر.

يقول: لقد جذبني لهذا الدين وضوح العقيدة، ذلك الوضوح الذي لا أجده في عقيدة سواه.

قصة إسلامة:

لقد أراد جاري ميلر في أحد الأيام أن يقرأ القرآن بقصد أن يجد فيه بعض الأخطاء التي تُعزّز موقفه عند دعوته المسلمين للدخول في النصرانية...، وكان يتوقع أن يجد القرآن كتابًا قديمًا مكتوبًا منذ ١٤ قرنًا، يتكلّم عن الصحراء وما إلى ذلك، لكنه ذُهل مما وجده فيه، بل اكتشف أن هذا الكتاب يحتوي على أشياء لا توجد في أي كتاب آخر في هذا العالم.



فكان يتوقع أن يجد فيه بعض الأحداث العصيبة التي مرت على النبي محمد ﷺ، مثل وفاة زوجته خديجة رضي الله عنها، أو وفاة بناته وأولاده، لكنه لم يجد شيئًا من ذلك، بل الذي جعله في حيرة من أمره:

أنه وجد سورة كاملة في القرآن تُسمّى بسورة مريم، وفيها تشريف لمريم عليها السلام لا يوجد مثيله في كتاب النصارى ولا في أناجيلهم.

ولم يجد سورة باسم عائشة زوجة النبي محمد ﷺ، أو فاطمة ابنته رضي الله عنهما، وكذلك وجد أن المسيح عيسى عليه السلام ذُكر بالاسم ٢٥ مرّة في القرآن، في حين أن النبي محمد ﷺ لم يُذكر إلا في ٤ مرات فقط.

مما يُدَلّل على أن هذا القرآن إنما هو وحيٌ من عند الله تبارك وتعالى، وليس اختلاقًا منه، ومن ثمّ مصداقية دعوة ورسالة من أتى به، وهو النبي محمد ﷺ، وصدق الإسلام الذي جاء يدعوا إليه.

٢- فانسان مونتيه

يقول: إن القرآن الكريم أوضح لي أيضًا فهم التاريخ المسيحي، فالمسيحيون الأوائل لم يكونوا بعيدين عن المفهوم الإسلامي، ولم يكن المسيح إلهًا إلا في مُجمع (نيقية) الذي انعقد سنة ٣٢٥ للميلاد، وفيه تقرّر بزيادة صوت واحد فقط من المقترعين أن المسيح إله، ولو نقص هذا الصوت لبقي المسيح في النصرانية بشرًا تمامًا كما يقول الدين الإسلامي الحنيف.

٣- محمد أسد (ليوبولد فايس)

يقول: أصابتني الحيرة حين شاهدت صلاة تتضمّن حركات آلية، فسألت الإمام:

هل تعتقد حقًّا أن الله ينتظر منك أن تُظهر إيمانك بتكرار الركوع والسجود؟

ألا يكون من الأفضل أن تنظر إلى داخلك، وتصلّي إلى ربّك بقلبك وأنت ساكن؟



فأجاب: بأي وسيلة تعتقد أننا يمكن أن نعبد الله؟ ألم يخلق الروح والجسد معًا؟

وبما أنه خلقنا جسدًا وروحًا، ألا يجب أن نصلي بالجسد والروح؟

ثم مضى يشرح المعنى من حركات الصلاة، وكان ذلك أول باب لدخوله في الإسلام.

وغير ما ذكرنا الكثير والكثير من الذين أسلموا لله تعالى ربّ العالمين، مُحسنين الاستخدام والتوظيف لما قد وهبهم الله تعالى من نعمة العقل.

ونكتفي بموجز ما أشرنا إليه، على أنه يمكن الاستفاضة في هذه النقطة بالرجوع إلى المكتبة الإسلامية المتخصصة في ذلك.

فالحمد لله تعالى على نعمة الإسلام والهداية والتوفيق، ونسأل الله تعالى أن يشرح صدور عباده أجمعين للإسلام، واتباع خير الأنام، خاتم الأنبياء والرسل، محمدﷺ.





الدلائل والبراهين على ختم النبوات والرسالات بنبوة ورسالة محمد ﷺ للناس أجمعين وأنه ليس بعده ﷺ أي نبي أو رسول آخر

لقد أرسل الله عز وجل نبيه محمد ﷺ إلى البشرية كافة، خاتماً به جميع الرسالات، مؤيّداً له بالمعجزات والخوارق التي تشهد بنبوته ورسالته ﷺ من الله جل وعلا، والتي يعجز غير النبي عن الإتيان بمثلها.

ولقد أخبر رسول الله ﷺ بأنه خاتم الأنبياء، ومن ثم فإنه ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، لأنه من المعلوم أن كل رسولٍ نبيٌّ، وليس كل نبيٍّ رسولا، فقد قال الله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال رسول الله ﷺ: ((مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمّها إلا موضع لبنة فيها، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة؟! فكنت أنا تلك اللبنة)) [صحيح الجامع الصغير].

ولقد أعلمنا رسول الله ﷺ أنه بُعث إلى البشر كافة، للناس أجمعين في كل مكان وزمان إلى يوم الدين، قال الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال رسول الله ﷺ: ((بُعثت إلى الأحمر والأسود)) [صحيح مسلم].

أي أن رسول الله ﷺ بُعث إلى مختلف الأجناس: أي إلى الناس أجمعين.

ولقد قاتل رسول الله ﷺ اليهود وانتصر عليهم، وذهب أيضا ﷺ لقتال الروم في غزوة تبوك، فرجع مُنتصراً بعد أن تفرّق الروم وجَبُنوا عن لقائه ﷺ.

وكل ذلك من أجل نشر التوحيد الحق، الذي يرتضيه الله عز وجل، من أجل إقامة دولة الإسلام.

ونودّ أن نشير إلى جانب من الدلائل والبراهين المُوجزة على ختم النبوات والرسالات بنبوة ورسالة النبي محمد ﷺ للناس أجمعين، منها:





١- إخبار رسول الله ﷺ بذلك، كما أوضحنا بالآيات الكريمات، والأحاديث النبوية الشريفة.

وبما أنه قد ثبت لدينا نبوة رسول الله ﷺ بما أيّده الله عز وجل من معجزات وخوارق وشواهد، وآيات ودلائل كلها تشهد بنبوته ورسالته ﷺ، فإنه يلزمنا التصديق بكل ما أخبر به ﷺ، ومن ذلك: أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأنه ﷺ مرسل إلى البشرية قاطبة، والناس أجمعين.

٢- أنه من الحكمة التامة لله عز وجل أن يجعل الرسالة الخاتمة للرسالات السابقة رسالة عالمية، للخلق أجمعين، وأن يجعل النبي الخاتم للأنبياء والمرسلين نبيًّا مرسلا إلى البشرية كافة في كل مكان وزمان، وحيث إن الرسالة الخاتمة للرسالات لا بد وأن تكون محفوظة من الله عز وجل من أن تمسها أيدي البشر بشيء من التحريف والتضييع -لأنه ليس بعدها أية رسالة سماوية أخرى- أي أنها -الرسالة الخاتمة- صالحة لكل زمان، فإنها لا بد وأن تصلح للخلق في أي موطن، وفي كل مكان.

٣- البشارات الكثيرة والكثيرة بالنبي محمد ﷺ في التوراة والإنجيل وفي كتب الهندوس وغيرها من كتب الأولين:

حيث تدل على أن رسالة النبي محمد ﷺ ليست كأي رسالة أخرى، ولكنها لا بد وأن تكون رسالة عالمية -للبشر كافة- ولا بد وأن تكون رسالة خاتمة لجميع الرسالات السابقة، حيث إنها محفوظة مصونة من الله عز وجل إلى يوم الدين.

ولذلك: كان هذا القدر الكبير من البشارات برسول الله محمد ﷺ، حيث إنه ليس نبي بعده، فهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

٤- رسالة النبي محمد ﷺ وما جاء به من معتقد سليم:





لقد أرسل الله عز وجل النبي محمد ﷺ في وقت قد اشتدت حاجة العالم كله إلى رسالته ﷺ، حين ضل الناس عن السبيل الذي يصلهم بإلههم وخالقهم جل وعلا، ويصل بعضهم ببعض، حين فسد الناس وضلوا واختلفوا وتقاطعوا.

لذلك، جاء النبي محمد ﷺ برسالة من الله تعالى تصلح العقائد الفاسدة وتداوي النفوس وتربط الناس بعضهم ببعض، وتوجههم جميعًا في وحدة منسجمة متآلفة إلى بارئهم وخالقهم.

لقد جاءت الرسالة المحمدية متضمنة العقائد الصافية التي لا يقبل الله عز وجل سواها، ولا يرتضي غيرها، والتي قد فُطِر الناس عليها وعلى قبولها من إلههم وخالقهم تبارك وتعالى.

وجاءت الرسالة المحمدية بالعبادات الهادية والمعاملات الكريمة والتشاريع القويمة القائمة على أسس من الخير والحق والفضيلة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

- العقيدة الصافية السليمة التي جاء بها النبي محمد ﷺ:

لقد شاءت حكمة الله عز وجل أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة، بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا الله –على حقيقتها– وأن يمضي في دعوته يُعرف الناس بربهم الحق ويُعبدهم له دون سواه.





ولنتأمل في العقيدة التي جاء بها النبي محمد ﷺ، والتي كانت سببًا في رقي أهل الإسلام الذين رضوا بالإسلام دينًا، واعتنقوه وعملوا بتعاليمه، وتمسكوا بالكتاب الذي أُنزل على رسوله:

– كان رسول الله ﷺ يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية، يُعرِّف الناس بإلههم ويدعوهم إلى عبادته سبحانه وتعالى وحده، وإفراده بالعبودية جل شأنه.

– يُعرف الناس بربهم الذي خلقهم وأوجدهم من عدم، ورزقهم، وينفي وجود نِدّ أو شريك له جل وعلا.

– يدعو كل من أنكر وجوده سبحانه وتعالى إلى الإيمان بمُوجِد هذا الكون المحكم الصنع، يدعوهم إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

– يدعو إلى محاربة الأصنام، والتي كان العرب وغيرهم يعبدونها مع علمهم بأنها لا تنفع ولا تضر.

– يدعو إلى محاربة كل ما يُعبد من دون الله عز وجل، فالعرب وغيرهم يعبدون الحجارة، والفرس يعبدون النار، واليهود اتخذوا أحبارهم أربابًا من دون الله عز وجل، حيث يحلون لهم ما حرم الله، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيتبعونهم، والنصارى يعبدون بشرًا –المسيح– مخلوقًا يأكل ويشرب وينام، إلى غير ذلك، مما يفعله البشر الذين خلقهم الله عز وجل، ومع ذلك يعبدونه وينسبون إليه الألوهية.

– يدعوا (النبي محمدﷺ) إلى عبادة الله تعالى وحده، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن أي صفة نقص أو عيب أو ذم نُسبت إليه من البشر جرَّاء اتباعهم أهواءهم وكبرهم وشهواتهم.

– فنلحظ أن البيئة التي أحاطت بالنبي ﷺ كانت تموج بافتراءات كثيرة على الخالق جل وعلا، حيث:

إن العرب قد افترت على الله كذبًا باتخاذه من الملائكة إناثًا، وقالت إن الملائكة هم بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرا.

وقاموا (العرب) بعبادة الأوثان (الأصنام) من دون الله عز وجل

ب– وافترت اليهود على الله الكذب، فمنهم من قال عزير ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وقاموا –اليهود– بتحريف كتبهم وكذّبوا أنبياءهم وقتلوهم، وكذبوا عبد الله





ورسوله المسيح عيسى ابن مريم، مع ما ظهر لهم من معجزة ولادته عليه السلام، وكلامه في المهد والمعجزات التي أيده الله تعالى بها بعد ذلك، وسبوه وقالوا فيه قولا قبيحًا، قاتلهم الله، ونسبوا إلى أمه السيدة مريم العذراء ما يستعف اللسان عن ذكره، فلقد نسبوا إليها الزنا، قاتلهم الله، فهي –السيدة مريم– العابدة النقية الصالحة، أيدها ربها تبارك وتعالى بمعجزة كلام ولدها المسيح عيسى ابن مريم في المهد وبمعجزاته عليه السلام بعد ذلك.

ولم يكتف اليهود بما أشرنا إليه فقط، بل إن الأنبياء والرسل الذين آمنت بهم اليهود لم يسلموا من افتراءات وقذارة وفحش ألسنتهم، فمنهم –الأنبياء– من قد نسبت إليه اليهود السُّكْر ووطئه لابنتيه، بل وولادتهما منه، ونسبت غيره إلى همّه بارتكاب الزنا والفاحشة، وغيره إلى السحر، إلى غير ذلك من افتراءاتهم وكذبهم وبهتهم.

فلقد سب اليهود إلههم ونسبوا إليه الجهل وسوء الاختيار، ولم يقدروا الله عز وجل حق قدره، حيث إنه –على زعمهم– جَهِل بحال هؤلاء الذين اختارهم لتبليغ رسالته وأساء الاختيار لما قد فعلوه، وكل ذلك نقص وعيب يتنزه الخالق عنها، فتعالى الله عن مثل ذلك علوًا كبيرًا.

جـ- وافترت النصارى على الله الكذب، فقالت فرقة منهم: بأن المسيح هو الله، وأخرى قالت: بأن المسيح هو ابن لله، وأخرى قالت: بأن الله ثالث ثلاثة الأب والابن والروح القدس ، تعالى الله على كل ذلك علوًا كبيرًا.

فلقد نسبوا إلى الله سبحانه وتعالى اتخاذه الولد، وهي صفة نقص لله جلّ في علاه، فما ينبغي لله أن يتخذ ولدًا؛ لأنه تعالى إذا كان له ولد فلابد أن يكون مشابهًا له، أي لابد وأن يكون إلهًا مثله، وقد يتخذ في أي وقت شاء ولدًا آخر أو أكثر، فيكون مشابهًا له، ويكون إلهًا مثله، إلى ما لا نهاية، وهكذا بالنسبة للابن الإله أيضًا، تعالى الله عن كل ذلك الإفك علوًا كبيرًا.

فالله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء كما يعرف الناس بفطرتهم، وكما تدلهم على ذلك عقولهم، ويستحيل عقلًا أن يكون هناك إلهان مستحقّان للعبادة أو أكثر من ذلك.

فكما أن الله عز وجل لم يُولد، فإنه جل شأنه لا يتخذ ولدًا، فهو القائل سبحانه وتعالى:





﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٨٨- ٩٤].

لذلك: فإن الذي جاء به رسول الله ﷺ من عقيدة وقول في المسيح ابن مريم عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله، اصطفاه الله عز وجل بالرسالة كما اصطفى غيره من الرسل، هو القول الوسط بدون إفراط أو تفريط.

بدون غلو النصاري الذين نسبوا إلى المسيح بن مريم الألوهية أو شيئًا منها على اختلاف فرقهم التي ضَلّت وأضلت، واختلفت في عقيدتها؛ حيث كان من المفترض أن تجمعهم عقيدة واحدة، ولكن أنّى لها ذلك؟! فالباطل كالظلمات – جمع ظلمة – صورة كثيرة، أما الحق فهو واحد فقط كالنور الذي يطرد الظلام، لا يختلف فيه لبيبان، ذوا عقل راجح رشيد وفطرة سليمة سوية.

وبدون جحود اليهود الذين جحدوا رسالة المسيح عيسى ابن مريم كليةً وكذبوه وحاولوا صلبه وقتله، وحاولوا أن ينالوا من شرف أمه السيدة مريم العذراء، كما لوّثوا سيرة كل نبي أُرسل إليهم، إلى غير ذلك .... ، قاتلهم الله.

وبوجه عام: فإن العقيدة التي جاء بها خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ هي العقيدة التي محَى الله عز وجل بها الظلمة، هي العقيدة الصافية التي ليس بها ما هو إعنات للفكر ولا قهر للذهن ولا إرهاق للتصوّر كما هو الحال في غيرها من عقائد فاسدة.

لذلك فإن الرسالة المحمدية هي الرسالة الخاتمة لجميع الرسالات السابقة، للناس كافّة في كل مكان وزمان، وليس بعد رسول الله محمد ﷺ أي نبي أو رسول آخر.

٥ – [القرآن الكريم]: **المعجزة الكبرى** للنبي محمد ﷺ، الباقية الخالدة:

قال رسول الله ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة" [صحيح البخاري].



فالقرآن الكريم الذي أُنزل على النبي محمد ﷺ هو الكتاب الوحيد الذي ظل محتفظًا بإطاره الربّاني الصالح لهداية الناس أجمعين، فلم يعتريه ما قد اعترى غيره من الكتب السابقة من التحريف والتبديل والتغيير والتضييع مما تناولته أيدى البشر.

وبالإضافة إلى تَضَمّن القرآن الكريم لجانب الإعجاز البلاغي والبياني الذي تحدّى به العرب، وهم أهل اللّسْن والفصاحة والبلاغة، فإنه – القرآن الكريم – مُتضمنًا لجانب آخر من الإعجاز، وهو الإعجاز العلمي في شتى مجالات العلوم، والذي كان سببًا في إسلام العلماء الغربيين وغيرهم من الأطباء الفليبيين وغيرهم.

والذي نودّ أن نلقي عليه الضوء في هذه النقطة:

أن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الباقية بين أيدينا الآن والمحفوظة إلى أن تنتهي الحياة الدنيا، إلى أن تقوم الساعة.

وبذلك: فإن القرآن الكريم شاهدٌ للنبي محمد ﷺ أنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

فالقرآن الكريم هو المعجزة الكبرى الباقية المتضمنة لتنزيه الإله الخالق جل وعلا تنزيهًا وتعظيمًا لا يُدانيه تنزيه أو تعظيم للذات الإلهية، وللصفات والأسماء والأفعال الخاصّة به جل وعلا.

وهو – القرآن الكريم – المعجزة الكبرى الباقية المتضمنّة لوصف أنبياء الله ورسله – على تفاوت بينهم – بأعلى ما يمكن أن يتصف به البشر المكرمون من صفات حسنة وأخلاق حميدة.

وهو – القرآن الكريم – المعجزة الباقية المتضمنّة للعبادات الهادية والمعاملات الكريمة والتشاريع القويمة القائمة على أسس الخير والحق والفضيلة.

ومن ثمّ فقد حُفظت السنة النبوية المطهرة للنبي محمد ﷺ ، الضرورية لفهم الكتاب – القرآن الكريم – الذي أنزل عليه ﷺ ، ويشهد بذلك:

إنشاء علم الحديث، حيث يتم التحقق من عدالة رواة أحاديث رسول الله ﷺ من صدق، وأمانة، وحِفَاظ على أداء الشعائر الإسلامية، وعدم ارتكاب للمُحرَّم... إلى غير ذلك، أي – غير مُهتم في دينه – ، ويتم التحقيق أيضًا من جودة الذاكرة والقدرة على الضبط، واشتراط أن من يروي عن شخص ما أن تثبت معاصرته له، بل وقد اشترط بعضهم –كالإمام



البخاري – أن يكون قد التقى به فعلًا، وهذا ما قادهم لتأسيس علمٍ كاملٍ يُسمّى (بعلم الرجال)، حيث يدرسون فيه حال كل راوية من الرواة على مرّ العصور، تاريخ ميلاده، ووفاته، وشيُوخه الذين تلقى منهم العلم، وخُلُقه، ودينه ... وهكذا.

وهذا العلم لم يُعرف قط سوى في أمة خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث إلى الناس أجمعين: محمد ﷺ.

لذلك: فإنه لا حاجة لإنزال كتاب سماوي آخر جديد على نبي مُرسل أخر بعد النبي محمد ﷺ ؛ فالمعجزات الأخرى السابقة للأنبياء والرسل السابقين – قبل بعثة النبي محمد ﷺ – قد انتهى تأثيرها وقوة إقناعها بعد موت أو رفع الرسول، على عكس

ما هو الحال بالنسبة للمعجزة (القرآن الكريم) الباقية، المحتفظة بكل وسائل تأثيرها وإقناعها حتى بعد وفاة النبي محمد ﷺ.

فلئن سُئل اليهود والنصارى الآن عن رؤيتهم لمعجزات أنبيائهم، ليقولن: لم نرها، ولئن سُئِلوا عن علمهم بها، ليقولن: أن آبائهم وأجدادهم وغيرهم قد أخبروا بذلك.

ولكن إذا ما سُئِل المسلمون عن رؤيتهم لمعجزات نبيهم محمد ﷺ ، الشاهدة بصدق رسالته ودعوته، ليقولن: أن المعجزة الكبرى للنبي محمد ﷺ والتي تشهد بصدق رسالته ودعوته هي بين أيدينا، نراها ونتدراسها، بالإضافة إلى المعجزات والخوارق الأخرى التي نُقلت من الثقات بالتواتر إلينا.

بل وإن كونها – المعجزة الكبرى – محفوظة من الله تبارك وتعالى لدَلاَلَة قاطعة، مرئية وعقلية على: أنه ليس بعد القرآن الكريم الذي أنزل على النبي محمد ﷺ أي كتاب سماوي آخر جديد، وليس بعد النبي محمد ﷺ أي نبي أو رسول آخر جديد.

ومما يُدَلِّل مرئيًا وعقليًا على أن القرآن الكريم – المعجزة الكبرى – سيظل باقيًا محفوظًا من الله تبارك وتعالى، ومن ثم عدم الحاجة إلى كتاب سماوي جديد.

ما نشاهده الآن من تقدم في وسائل الكتابة والطباعة من آلات حديثة، وإنشاء هيئات وإدارات ومُجمعَّات مُتخصصة في طباعة القرآن الكريم – المعجزة الكبرى – والإشراف عليه، وحفظه من أن تحاول أيدي بشرية خبيثة من أن تمسّه.





لذلك: فقد خُتمت جميع النبوات والرسالات بنبوة ورسالة النبي محمد ﷺ إلى الناس أجمعين.

٦ – تطهير بيت الله العتيق (الكعبة المشرفة) من دنس الشرك والأوثان:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

إن أول بيت وضعه الله عز وجل في الأرض هو الذي بمكة، ليتعبد الناس له جل وعلا عبادة صافية، لا إشراك فيها، وقد كان العرب يحجّون إلى هذا البيت في كل عام.

فالبيت العتيق (الكعبة المشرفة) ذات أهمية عظيمة عند الله عز وجل، وحُرْمته حُرْمَة شديدة؛ حيث إنه أول بيت وُضَع للناس في الأرض لعبادة الله سبحانه وتعالى.

ولكن بمرور الوقت والزمن، زين الشيطان للعرب عبادة غير الله تعالى من أصنام وأحجار، وظل الأمر على ذلك الحال قرون طويلة.

ولكن كان مما قد اقتضته حكمة الله سبحانه وتعالى أن يأتي زمان يتطهّر فيه بيته الحرام – الكعبة المشرفة – من تلك الأوثان والأصنام التي كان العرب يعبدونها، فهو أول بيت وُضِع لعبادته جل وعلا في الأرض.

وقد جاءت الرسالة تلو الرسالة وحال العرب من الشرك وعبادة الأصنام كما هو، فجاءت اليهودية ومن بعدها النصرانية ولم تستطع أي منها تطهير بيت الله الحرام من الشرك والأوثان وعبادة غير الله تعالى، فلم تستطع صَرْف الناس من عبادة الأصنام والحجارة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى.

إلى أن جاء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ بالرسالة الخاتمة مُنفِّذًا لما أراده الله عز وجل، ولما اقتضته حكمته جل وعلا من تطهير بيته الحرام من الشرك والأوثان، وتصحيح تلك العقيدة الفاسدة.



لذلك كان من حكمة الله عز وجل أن يبعث محمدًا ﷺ رسولًا خاتمًا، تُختم به الرسالات السماوية، مُرسلًا إلى الناس أجمعين؛ حيث يتلوا عليهم آيات ربهم ويزكيهم ويطهرهم من الشرك والفجور، ويعلمهم كتاب ربهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويُحلّ لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائث.

وبالفعل: فقد مَنَّ الله عز وجل على رسوله محمد ﷺ بفتح مكة في العام الثامن من الهجرة، فدخل المسجد الحرام، وأقبل ﷺ إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم طاف بالبيت العتيق وفي يده قوس، وحول البيت وعليه آنذاك ٣٦٠ صنمًا، فجعل يطعنها رسول الله ﷺ بالقوس، ويقول قول الله عز وجل:

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩].

وها هو بيت الله العتيق – أول بيت لله تعالى في الأرض – أمام أعيننا طاهر من الأصنام والأوثان، خالصًا لعبادة الله تعالى وحده، يتعبد الناس لإلههم وخالقهم عبادةً صافية لا إشراك فيها، عبادةً ذات معتقد سليم، عبادةً لا تحتاج إلى تصحيح أو تقويم من نبي أو رسول جديد.

لذلك فإن النبي محمد ﷺ هو الرسول الخاتم للأنبياء والمرسلين والذي أرسله ربنا تبارك وتعالى مُطهرًا لبيته العتيق من دنس الشرك والأوثان، وإلى الناس أجمعين.

وقد اكتشف حديثًا: أن مكة المكرمة تتوسط يابسة الكرة الأرضية، بمعنى: أننا إذا رسمنا دائرة مركزها مكة المكرمة، فإن هذه الدائرة تحيط باليابسة كاملة.

وأيضًا: فإن خط طول مكة المكرمة يتوسط الزمن تمامًا، فيكون ما حول مكة المكرمة هو العالم كله في كل مكان وزمان.

وقد أشرنا في السابق إلى ما قد تم اكتشافه علميًا: من توافق عبادة الطواف للمسلمين حول الكعبة مع النظام الكوني وانسجامها معه، مما يُدَلِّل على أن الإله

الخالق لهذا الكون هو سبحانه وتعالى الذي أنزل رسالته الخاتمة على النبي محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين.



فكان من مُقتضى حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون مكة المكرمة مهدًا للرسالة العالمية والخاتمة.

٧ – أن من خصائص أمّة النبي محمد ﷺ أنها أمّة مُبلّغة داعية:

قال الله تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال رسول الله ﷺ: ((من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)) [رواه مسلم].

قال رسول الله ﷺ: ((بلغوا عني ولو آية ...)) [رواه البخاري].

قال رسول الله ﷺ : ((نضَّر الله امرأ سمع منا شيئًا فبلغه كما سمعه، فرُبّ مُبلّغ أوعى من سامع)) [رواه الترمذي وقال حديث صحيح].

فمن خصائص أمة النبي محمد ﷺ : أنها تبلغ كلام ربها وكلام رسولها إلى غيرها، وإلى من بعدها وتدعوا إليه.

- تدعو إلى الخير، تدعوا إلى دين الله عز وجل – الإسلام – أصوله وفروعه وشرائعه.
- تأمر بالمعروف، حيث تأمر بكل ما عُرِف حُسْنه شرعًا وعقلا.
- تنهى عن المنكر؛ حيث تنهى عن ما عُرِف قبحه شرعًا وعقلا.
- فهي أمّة داعية إلى الإيمان بالله عز وجل وإلى التمسك بكل ما جاء به النبي محمد ﷺ من معتقد سليم وشرع قويم وعبادات هادية ومعاملات كريمة ...

لذلك: فإن دُعاة أمّة النبي محمد ﷺ هم خير الناس للناس نُصحًا ومحبّة للخير ودعوة وتعليمًا وإرشادًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر.

فقد جعلهم الله عز وجل من أسبابه في حفظ هذا الدين العظيم، الإسلام.





ومثال ذلك: أصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم التابعين ... ؛ حيث قاموا بالدعوة إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، مُقتدين به، مُقتفين أَثَره، ونشروا الإسلام شمالًا وجنوبًا، شرقًا وغربًا؟

ومثال ذلك أيضًا: ما نجده اليوم من سَفَر الجماعات والجماعات الكثيرة من علماء ودعاة المسلمين من أجل الدعوة فقط إلى دين الله عز وجل – الإسلام – في مختلف البلاد، وفي شتى أقطار الأرض.

ومثال ذلك أيضًا: ما قام المسلمون به من إنشاء قنوات فضائية إسلامية متخصصة في الدعوة إلى الله عز وجل وإلى دينه الحق – الإسلام – وتبليغ الرسالة الخاتمة لنبيه محمد ﷺ باللغة العربية وغيرها من اللغات الأجنبية إلى جميع أنحاء العالم، وذلك بعد التقدم الهائل في وسائل الاتصالات السمعية والمرئية.

ومثال ذلك أيضًا: المواقع الإسلامية الحقيقية الصادقة – غير المصطنعة من الأعداء الحاقدين على الإسلام وأهله – على شبكات الإنترنت، وتخصصها في مجال الدعوة إلى الله عز وجل وإلى دينه الحق – الإسلام – بمختلف اللغات، العربية وغيرها.

لذلك: فإنه لا حاجة إلى إرسال نبي أو رسول بعد النبي محمد ﷺ مع وجود خاصية التبليغ والدعوة بأُمته ﷺ إلى مُختلف الأجناس، وفي شتى أقطار الأرض، ومما يؤكد ما ذكرنا في النقاط السابقة:

أنه بالفعل لم يأت أي من الأنبياء أو الرسل منذ بعثة النبي محمد ﷺ ورسالته.

وإن ما أعلنه بعض المفترين الكاذبين من ادّعاء للنبوة زورًا قد باء بالخيبة والفشل، والهزيمة الساحقة العاجلة، لمثل تلك الدعوة المفتراه ولمدَّعيها، ومثال ذلك:

– مسيلمة الكذاب، الذي كان قد ادّعى النبوة بعد بعثة النبي محمد ﷺ وانتصار دعوته.

فكان مصير ذلك الكذاب – مُسيلمة – الخزي والعار في الدنيا قبل الآخرة، فقد اقترن اسمه بصفة الكذاب، فما نذكر اسمه – مُسيلمة – إلا ونلحق به صفته – الكذّاب –، وكان ذلك دليلا وشاهدًا على نبوة النبي محمد ﷺ، وصدق رسالته ودعوته، حيث إخباره ﷺ بأنه





لا نبي بعده، وكان صدق ما أخبر به، فكان ذلك معجزة له ﷺ حيث إخباره بأمر غيبي، بوحي من الله سبحانه وتعالى.

- وعلى عكس الدعوة المفتراة من مسيلمة الكذاب، نجد الدعوة الصادقة للنبي محمد ﷺ:

نجدها قد ظهرت، ونصرها الله عز وجل، بل ولا يكاد يُذكر اسم النبي محمد ﷺ إلا ويُلحق به الصلاة والسلام عليه من الذاكر لاسمه ﷺ ومن السامع، فيُقال: ﷺ.

ولِمَا ذكرنا: فإنه لا يستطيع أي مُفترٍ كاذب، مُدعٍّ للنبوة أن يقوم بتأدية مهام النبي المرسل من الإله الخالق جل وعلا؛ حيث إنه سرعان ما يسقط في ما يتعرض له من فتن، ويفشل فيما يقابله ويواجهه من امتحانات واختبارات، ولا تستطيع دعواه الكاذبة الباطلة أن تؤتي بأي ثمرة نافعة، لكذبه على الله تعالى في ادّعائه للنبوة، واصطناعه لها — فهي نبوة غير حقيقية — ومن ثمَّ فقدها للتأييد من الله عز وجل لها.

لذلك: فإنه لا يستطيع أن يقوم بتأدية مهام النبوة إلا نبي مُرسل من الإله الخالق جل وعلا، صادق في دعوته ورسالته، مؤيدًا من الله تبارك وتعالى.

وكما سبق فقد أشرنا إلى إمكانية تطبيق الامتحان الحاسم والذي مُحصِّلته: أن مُحمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن رسالته إلى الناس أجمعين.

ولما ذكرنا من جانبٍ من الأدلة والبراهين نوضح ونؤكّد:

أن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، المبعوث إلى الناس أجمعين، وليس بعده ﷺ نبي أو رسول آخر.





الفرقة الناجية

لقد ظهرت فرق كثيرة مُنسِبة نفسها إلى الإسلام، وهم بعيدين كل البُعد عن منهج الإسلام وتعاليمه مُخالفين لما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحاب الكرام.

وقد صدق رسول الله ﷺ فيما أخبر به من غيبيات أُوحِيَ إليه بها من الله سبحان وتعالى؛ حيث أخبر ﷺ بافتراق هذه الأمَّة إلى فرقٍ كما افترقت قبلها اليهود والنصارى، وجميع تلك الفرق المفترقة – إما لفساد الفطرة والمعتقد أو اتباعًا للأهواء والشهوات – باطلة عدا من انتهجت نهج رسول الله ﷺ وأصحابه، وسارت على دربه ﷺ.

لذلك: فإن مثل تلك الفرق الباطلة (كالشيعة) ليست بحُجّة على الإسلام؛ فالإسلام برئ من معتقداتهم الفاسدة وتأويلاتهم الباطلة وما يفترونه على الشرع من عبادات وأحكام ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولا عجب في ما نُحدِّث به عنهم إذا ما علمنا:

أن إحدى تلك الفرق الضّالة قد قام بتأسيسها أحد اليهود المنتسبين للإسلام، وهو عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي قد أعلن إسلامًا نفاقًا وأبْطَن الكفر؛ حيث قام بتأسيس فرقة الشيعة – الروافض – ، إحدى تلك الفرق المارقة الضّالّة، القائمة على الاعتقاد الفاسد في الله جل وعلا والقائمة على سَبّ وقذف أزواج رسوله ﷺ الطاهرات، والقائمة على سَبّ أصحاب رسول الله ﷺ الكرام، والقائمة على الطعن في أمين السماء(جبريل عليه السلام) والطعن في القرآن الكريم، والتحريف في التشريعات والأحكام تبعًا للأهواء والشهوات، وادّعاء أئمة معصومين، افتراءً وكذبًا، قاتلهم الله.

-ولقد أدرك علماء أهل السنة – العاملين بهدي وسنة النبي محمد ﷺ - خطورة مثل تلك الفرق الضالة والمبتدعة (كالشيعة)، فقاموا بالتصدي لها والرَدّ على افتراءاتها بالنقل الصحيح والعقل الصريح؛ حيث إن الشرع الصحيح لا يُعارض العقل الصريح.

لذلك فإن السبيل الوحيد الذي يرتضيه ربنا تبارك وتعالى هو ما كان عليه النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام، وهو السبيل الذى قد اتخذه أهل سنة الحبيب النبى محمدﷺ.

ومن ثم فإن الحق هو ما قد ثبت عليه أهل سنة الحبيب النبى محمدﷺ .





هل الدين هو العامل الرئيسي في الحروب وانتشار القتل بين الأمم والشعوب؟!

وهل هو سببًا في الركود الاقتصادي والتخلف الحضاري ؟!

للإجابة على ذلك التساؤل السابق، نوضح الحال بين الأمم والشعوب عند خضوعهم لنفوذ الله عز وجل وسلطانه، واتباعهم وتمسّكهم بالحق وبين حالهم عند غياب الدين، وذلك في إيجاز شديد.

قد يرى من هو بعيد عن الله عز وجل، غير مؤمن بوجود إله خالق، ليس له دين أو معتقد يتمسك به، أن الدين سببًا في الحروب بين الأمم والشعوب، وانتشار القتل بينهم، ومن ثمَّ الركود اقتصاديًا والتخلف حضاريًا.

ولكن تلك النظرة من ذلك المِلحِد، المنكر لوجود الله عز وجل نظرة خاطئة، نابعة من عدم العلم، والجهل بحقائق الأمور، وذلك:

إما لتغافله وتجاهله عن التَبَيَّن والتَثَبُّت من الحقائق، وعدم اتباعه للحق.

وإما لاتباعه أهواءه وشهواته مع علمه بحقائق الأمور، ومن ثمَّ جحوده للحق كليةً، لما فيه مُخالفة لكبره، ومُعارضة لأهوائه وشهواته.

فكان عليه أولًا: أن يؤمن بوجود الإله الخالق جل وعلا، وقد أشرنا إلى الكثير من الأدلة الدامغة على وجود الله عز وجل، والتي لا يغفل عنها ذا فطرة سوية وذا عقل رشيد.

ثانيًا: أن يعلم بأن الدين عند عز وجل هو دين واحد فقط، وهو الإسلام، وإن اختلفت الشرائع السماوية، المتضمنة لأحكام فقهية مختلفة ومتغايرة، لما تقتضيه مصلحة الأمم والشعوب – حيث تغير المكان والزمان-، وفقًا لإرادة الله عز وجل وحكمته البالغة.

فالحق واحد لا يشاكله ولا يخالطه باطل، حيث إنه – الحق – يتوافق مع الفطرة السوية السليمة للإنسان، ولا يختلف فيه لبيبان، ذوا عقل صريح وافر، رشيد راجح، وقد أشرنا إلى ذلك بإيجاز، منا سبق.





حال الأمم والشعوب عند خضوعها لنفوذ الله عز وجل وسلطانه، واتباعهم وتمسكهم بالحق:

لما قد أشرنا إليه في السابق، فإن الأصل: أن يكون الناس جميعًا على دين واحد، وهو الإسلام حيث:

يؤمنون بوحدانية الإله الخالق وعظيم صفاته وطلاقة قدرته دون أن يُنسب إليه ما يعيبه في ذاته أو يُنقص من كمال صفاته.

يؤمنون بجميع الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى لدَعْوة خَلْقِه وهدايتهم إلى صراطه المستقيم، بعد أن ضلّوا وزغوا عنه، وذلك إذا ما بُينت لنا الدلائل والشواهد التي تدل وتشهد بنبواتهم وصدق دعوتهم ورسالاتهم، فلا ينكروا رسالة أحدهم، ولا يفرقوا بين أحد منهم اتباعًا للأهواء، على أن يتبعوا آخر نبي أو رسول بُعث إليهم فيما جاء به من الشريعة الإلهية.

يؤمنون بجميع الكتب السماوية المنزّلة من الله عز وجل على أنبيائه ورسله، والتحاكم إليها، دون إنكار أو جحود أيّاَ منها، إلى غير ذلك.

وينتج من ذلك كله: خضوع جميع الأمم والشعوب لسلطان الله جل وعلا، والتحاكم إليه وتطبيق شرعه والالتزام بنهج الأنبياء والمرسلين.

ولكن ما حدث: أن تفرق الناس واختلفوا تبعًا لأهوائهم وشهواتهم، وفساد فطرتهم وعقولهم، وزاغوا عن صراط الله المستقيم، ولقد بيَّن الله عز وجل ذلك في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٢، ٥٣].

و"أمتكم" تعني: مِلّتكم، أي أن دينكم دين واحد وهو الإسلام.

و"فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا" تعني: أي تفرقوا في أمر دينهم أحزابًا وفرقًا مختلفة ولما اشرنا:

فإن الأصل أن يكون الناس متوحدين على ما يُرضي إلههم وخالقهم جل وعلا، غير مُختلفين ولا متفرقين، وأن يكونوا متحابين ومتسالمين غير مُتشاحنين أو مُتقاتلين.





وأن يطبقوا شرع الله عز وجل الحكيم بتعاليمه السامية، وما جاء به من معاملات كريمة رشيدة ... إلى غير ذلك.

وبذلك تنهض جميع الأمم والشعوب اقتصاديًا لتطبيقها ما جاء به شرع الله عز وجلّ.

ونبرهن على ذلك:

بما شهد التاريخ من حل قبائل العرب وغيرها من الشعوب قبل بعثة النبي محمد ﷺ ومجيئه بالإسلام دينًا، وبعد بعثته ﷺ بكامل التوحيد لله عز وجل، والخضوع لنفوذه وسلطانه جل وعلا:

فقد كانت القبائل العربية وغيرها قبل بعثة النبي محمد ﷺ قبائل متفرقة، متقاتلة متناحرة، حيث تقوم بينهم الحروب والعداوات لأقل الأسباب وأتفهها.

ولكن بعد بعثة النبي محمد ﷺ بالإسلام دينًا، والدخول في دين الله أفواجًا، أصبحت القبائل متوحدة، مُجتمعة على كلمة التوحيد التي جاء بها النبي محمد ﷺ وهي: [لا إله إلا الله]، وأصبح أفراد القبائل وغيرهم إخوانًا متحابين، يفتدي الواحد منهم أخيه – في الإسلام – بنفسه وماله، وقد سجل التاريخ الكثير والكثير من المواقف المشرقة لأصحاب رسول الله ﷺ في ذلك الأمر، وصدق تعالى إذ يقول:

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[آل عمران: ١٠٣].

حال الأمم والشعوب عند غياب الدين، وعدم الاتباع للحق، وترك التمسّك به:

إن في حال غياب الدين عن الأمم والشعوب، وعدم التمسّك بالحق الذي يرتضيه الله عز وجل، نجد أنه:

تنتشر المظالم والمفاسد، اتباعًا للأهواء والشهوات، وينتشر القتل بغير حق من مُنطلق القول الفاسد بأن البقاء للأقوى.

تندثر وتُمحى الأخلاق الكريمة الحميدة، الضرورية لوجود المجتمعات البشرية، والتي لا يكون بدونها مُجتمع؛ كالصدق، والأمانة والعدل .... إلى غير ذلك، كما أشرنا سابقًا.





ينتشر الانحطاط الخلقي من زنا وفواحش منكرة، للتوهّم بعدم وجود الإله الخالق الذي سوف يحاسبهم على سوء معتقدهم وقبح أفعالهم.

ومن جَرّاء ما أشرنا إليه: لا يتحقق الأمن والسلام بين الأمم والشعوب، ومن ثم لا تنهض في أي من مجالات الاقتصاد، فيكون الركود الاقتصادي والتخلف الحضاري للمجتمعات في شتى جوانب الحياة.

ومثال ما أشرنا إليه:

أنه قد قامت الكثير والكثير من الحروب بين كثير من الدول بسبب الاختلافات اللونية والانتماءات العنصرية.

- فنجد أن حكومات الدول الشيوعية — المنكرة لوجود الإله الخالق مثل الاتحاد السوفيتي والصين وغيرهما —كانت أكثر الحكومات جورًا وقهرًا وعدوانًا على حريات الناس وكرامتهم، بل لقد أذاق رؤساء مثل تلك الحكومات شعوبهم أشد ألوان العذاب وقتلوا منهم الملايين الكثيرة، إضافة إلى حروبهم ضد الشعوب الأخرى والتي ذهب ضحيتها الملايين والملايين، والتاريخ شاهد على ذلك.

- ونجد أيضًا في الحربين العالميتين الأولى والثانية قتل الآلاف والآلاف من البشر نتيجة الصراع بين الدول وبعضها البعض، إلى غير ذلك من الحروب الكثيرة، والتي نتج عنها الكوارث الشديدة والتدمير الاقتصادي والتخلف الحضاري.

وبذلك يتضح لنا جواب التساؤل السابق، وهو:

أن الدين ليس هو العامل الرئيسي في الحرب وانتشار القتل بين الأمم والشعوب، وهو ليس سببًا في الركود الاقتصادي أو التخلف الحضاري، بل إنه سببًا في الازدهار والنمو الاقتصادي والتقدم الحضاري.

ونوضح: أنه في حال كون الدين سبب في حروب ما بين طرفين أحدهما المسلمين، فإن ذلك يكون بمثابة الصراع في دار البلاء والاختبار بين الحق الذي يتمسك به المسلمون، وبين الباطل الذي ينقاد خلفه المبطلون من أصحاب الأهواء والشهوات والمعتقدات الفاسدة —كاليهود والنصاري وغيرهما كما أشرنا سابقًا-.





ويكفي: أن نعلم أن حروب المسلمين ضد أعداءهم ليست إلا لإعلان كلمة الحق ونشر التوحيد الكامل لله عز وجل (لا إله إلا الله)، لا لنشر الفساد والقتل، ويُدَلِّل على ذلك:

أن رسول الله ﷺ قد نهى عن قتل النساء والأطفال ومن تقدم العمر به والرهبان – الغير محاربين – ، وأنه ﷺ قد نهى عن الغدر وعن الإحراق بالنار وعن التمثيل بالقتلى وعن تشويه خلقتهم وعن تقطيع أعضائهم .... إلى غير ذلك من آداب المسلمين في حروبهم، في ضوء ما أرشدهم إليه رسول الله ﷺ.

وذلك إضافة إلى جانب العفو والصفح في حال المقدرة، والتمكّن من إعلاء كلمة الحق، ونشر راية التوحيد، ومثال ذلك: غزوة رسول الله ﷺ لفتح مكة؛ حيث إن رسول الله ﷺ قد جَهّز جيشه في عشرة آلاف مقاتل من صحابته الكرام لفتح مكة المكرمة، أحب البلاد إلى الله تعالى والتي بها بيته الحرام – الكعبة المشرفة –كما أشرنا

سابقًا، ثم دخل ﷺ بجيشه فاتحًا منتصرًا، وقام بتطهير الكعبة من الأصنام التي حولها وعليها، وكان عددها: ٣٦٠ صنمًا.

ثم دخل ﷺ الكعبة وصلى لله سبحانه وتعالى، ثم كبّره ووحده، وقال:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ...، ثم قال ﷺ:

يا معشر قريش، ما ترون أن فاعل بكم؟

قالوا خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم

فقال ﷺ: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته "لا تثريب عليكم اليوم" اذهبوا فأنتم الطلقاء.

ثم أمر ﷺ بلالًا أن يصعد فيؤذن على الكعبة بعد أن جاءت وقت الصلاة، ثم بعد ذلك صلى رسول الله ﷺ صلاة الفتح أو صلاة الشكر.

فكان ذلك نموذجًا من عفو وصفح رسول الله ﷺ وجيشه من المسلمين عن أهل مكة، وهم أهل شرك وأوثان، مع أنهم – أهل مكة –كانوا قد آذوا رسول الله ﷺ كثيرًا،





وحاربوه سنينًا، وهمّوا بقتله ﷺ قبل هجرته، وقد أذقوا المسلمين من قبل – قبل الهجرة – سوء العذاب ليردّوهم عن دينهم.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

وفي الوقت ذاته: نجد أن أهل الباطل – من يهود أو نصارى أو شيوعيين ملحدين أو غيرهم – يُحاربون نشرًا للقتل والإفساد في الأرض، فلا يتمسكون بأداب أو ضوابط في حروبهم، حيث يقتلون الشيخ الفاني والنساء والحوامل، ويبقرون بطونهن في صورة بشعة، ويقتلون الأطفال والرُّضَّع، ويمثلون بالقتلى، إلى غير ذلك من ألوان الفساد والقتل.

ومثال ذلك: حروبهم أثناء احتلالهم لبعض من البلدان والدول من أجل نهب وسرقة ثرواتها النفيسة من بترول ومعادن إلى غير ذلك، ومن أجل الاستفادة من مواقعها الجغرافية المتميزة.

ونخلص مما سبق: أن الإسلام هو الدين الحق الذي يدعوا إلى التمسّك بالقيم العليا، والأخلاق المثلى في السِلم والحرب، ومن ثم النهوض بالمجتمعات في شتى جوانب الحياة اقتصاديًا وحضاريًا – إلى غير ذلك.





حق الله عز وجل على العباد
وحق العباد على الله تبارك وتعالى

جديرٌ بنا أن نعرف حق الله عز وجل علينا بعد أن مَنَّ علينا سبحانه وتعالى بالهداية إلى الإيمان بوحدانيته، والتعرّف على عظيم صفاته وكمالها، وبعد أن مَنَّ علينا سبحانه وتعالى بالإيمان بأنبيائه ورسله والإيمان بكل ما جاءوا به، وبكل ما أخبروا عنه، وأن جعلنا من أمَّة النبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين؛ حيث إنها خير أمَّة أُخرجت للناس، والتي تكفّل ربنا تبارك وتعالى بحفظ كتابها – القرآن الكريم – وحفظ سنة نبيها ﷺ، ومن ثَمَّ حفظ شريعته وحفظ دينه العظيم، الإسلام.

ويجب علينا أيضًا معرفة حق الله عز وجل علينا لنؤديه، فالمقصد من حياتنا على هذه الأرض أداء حق الله عز وجل.

ومن عظيم فضل الله تبارك وتعالى ومَنّه وكرمه: أن جعل مُقابلًا لمن يؤدّي حقه جل وعلا، وجزاءً وأجرًا حسنًا، مع أن الله عز وجل هو الإله الخالق الذي لا يُسئل عن شيء، والبشر هم عباد مخلوقين كغيرهم من المخلوقات، ويُسئلون منه جل وعلا عن كل شيء – يوم الحساب –.

فالأصل: أن العباد ليس لهم حق على ربهم؛ لأنه لا فضل لأحد عليه جل وعلا، ولكنه الفضل والكرم من الله تبارك وتعالى على خلقه.

ولمعرفة حق الله عز وجل على عباده، وحق العباد على الله تعالى، نذكر ما أخبر به النبي محمد ﷺ في حديثه الشريف، الذي رواه الإمام البخاري من حديث مُعاذ، قال رسول الله ﷺ:

((يا معاذ: هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله؟))

قلت – قال معاذ –: الله ورسوله أعلم.





قال ﷺ: ((**فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولايُشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئًا**)) [رواه البخاري].

ونشير إلى جانبًا من حق الله تعالى على عباده، بإيجاز شديد:

أ – التوحيد:

فمن حق الله تعالى على عباده أن يُوحدّوه توحيدًا كاملًا، بأن:

– يعتقد الإنسان ويتيقن بأن الله سبحانه وتعالى هو الرب الخالق له ولكل شيء، وأنه سبحانه وتعالى هو البارئ المصوّر، القادر ، الرازق ... إلى غير ذلك من صفات الربوبية، وأن هناك أفعالًا لا يفعلها ولا يستطيع فعلها إلا الله سبحانه وتعالى.

وهذا الذي ذكرناه هو ما يُسمى بتوحيد الربوبية.

– أن يعلم الإنسان تمام العلم أن الرّب الخالق سبحانه وتعالى هو وحده المتصف بكل صفات الكمال، وأنه سبحانه وتعالى له الصفات والأسماء الحسنى؛ فلا يُنسب إليه ما يُذمّ من الصفات أو الأسماء.

أن يعلم الإنسان تمام العلم أن الربّ الخالق سبحانه وتعالى هو الذي يستحق العبادة وحده؛ فلا يُعبَد معه غيره، وهو ما يُسمّى بتوحيد الألوهية.

ب – العبادة والطاعة:

فكما أن حق الله تعالى على عباده أن يوحّدوه ولا يُشركوا به شيئًا، فإن من حقّه جل وعلا على عباده أن يعبدوه وحده جل وعلا، وأن لا يطيعوا أحدًا سواه.

فلا يُشركوا في عبادتهم مع الله تعالى أحدًا، وأن يمتثلوا لأوامره، مجتنبين نواهيه، مُبتغين في ذلك رحمته ورِضاه تبارك وتعالى عليهم، وأن يُصرف عنهم عقابه وعذابه.

حق العباد على الله تعالى:

كما أشرنا، فإن الأصل: أن العباد ليس لهم حق على ربهم؛ لأنه ليس لأحد فضل عليه جل وعلا، ولكنّه الفضل والكرم والمِنَّة من الله تعالى على خَلْقِه.





وموجز لحق العباد على الله تعالى: هو ما أخبر به الرسول ﷺ وأشار إليه من أن الله سبحانه وتعالى لا يُعذّب من يوحده في الاعتقاد والعبادة، فلا يُشرك به جل وعلا شيئًا.

بل إن الله تبارك وتعالى جعل جنته، ودار نعيمه لعباده الموحدين المؤمنين الصالحين الطائعين له جل وعلا؛ حيث يُنعمّون فيها نعيمًا أبديًا، لا زوال له بفضلٍ من الله تبارك وتعالى؛ حيث يُحْلِل (جل وعلا) عليهم رضوانه، ولا يسخط عليهم أبدًا.

ولا نجد ما يُقال في فضل الله تعالى إلا كما قال ثاني الخلفاء الراشدين المهديين، عمر بن الخطاب: كَثُرَ خير الله وطاب.

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٧٠].





ختامًا

– مما سبق يتحقق لنا وجود الإله الخالق لهذا الكون، والخالق لكل شيء، ويتحقق لنا وحدانيته جل وعلا، وعظيم صفاته وأفعاله، وطلاقة قدرته، وكمال علمه وحكمته.

فلقد تضافرت الدلائل على ذلك، كما أشرنا.

– ويتحقق لنا وجوب تعظيم وتمجيد الله جل وعلا، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن كل ما يُنسب إليه من عيب أو نقص أو ذمّ، مما قد افتراه المفترون الكاذبون، سواء كانوا من اليهود أو النصاري أو غيرهم.

– ويتضح لنا: أنه لم يُعظَّم ولم يُمجَّد ولم يُنزَّه الإله الخالق جل وعلا إلا في شريعة الإسلام، التي جاء بها خير الأنام محمد ﷺ

– ومن ثَمَّ يتحقق لنا: أن الهداية ليست إلا في شريعة النبي محمد ﷺ ، وليست إلا في الدين الذي جاء به وهو الإسلام.

– وأن الإسلام هو دين الله عز وجل؛ فليس بعد رسالة النبي محمد ﷺ أية رسالةٍ أو نبوةٍ أخرى، ولذلك فقد تكفّل ربنا تبارك وتعالى بحفظ كتابه (القرآن الكريم) الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ، ومن ثم حفظ دينه الإسلام.

– وأن النجاة كل النجاة في اتباع هذا الرسول الأمين محمد ﷺ، والالتزام بما كان عليه ﷺ وبما كان عليه أصحابه الكرام من اتباعٍ لهَدْيِه وتمسّكٍ بسنته ﷺ.

وأن النجاة في اجتناب كل ما يُخالف نهج النبي ﷺ ونهج أصحابه الكرام الذين آزروه ونصروه واتبعوا النور الذي معه، ومن ثمّ اجتناب جميع تلك الفرق الباطلة المحدثة، المغايرة لهدى النبي محمد ﷺ، والمخالفة لما كان عليه أصحابه الكرام ومن تبعهم بإحسان.

– ويتضح لنا: أن التمسّك بدين الله عز وجل (الإسلام) وتعاليمه السامية، وشرعه القويم ... هو السبيل الوحيد للنهوض بمختلف المجتمعات في شتى جوانب الحياة، ومن ثم الرواج والازدهار الاقتصادي، والتقدم الحضاري، ويتضح أن الإسلام هو السبيل الوحيد للنجاة في الدنيا والآخرة ، ومن ثم، فإنه يَتوجَّب علينا:

أن نؤدي حق الله تعالى، الخالق لنا والخالق لكل شيء.





رسالة

علينا أن نعلم أنه:

بعد ما تحقق لدينا وجود الله تعالى، وثبوت وحدانيته، وعظيم نعمه الكثيرة التي لا تُعَدّ ولا تُحصى، وأولها نعمة الهداية: بأن مَنّ سبحانه وتعالى علينا بنعمة التوحيد والإسلام، يستلزم علينا:

١ – مَحَبَّة الله سبحانه وتعالى:

فالله عز وجل هو الإله الذي تألهه القلوب وتألفه وتحبه، وتشتاق وتحن إليه، ولم لا!!

وهو سبحانه وتعالى الخالق لنا، بعد أن لم نكن شيئًا؛ حيث كنّا عَدَمًا، فمَنَّ علينا تبارك وتعالى بالقلب والعقل والروح والجسد ... إلى غير ذلك من نعمه تبارك وتعالى علينا، والتي لا تُعَدّ ولا تُحصى، بل إن النعمة الواحدة منه تبارك وتعالى لا تُعَدّ ولا تحصى.

وهو سبحانه وتعالى الذي مَنّ علينا بالهداية والرحمة، فهدانا إلى الإيمان به سبحانه وتعالى والإيمان بوحدانيته، وبأنبيائه ورسله، وأن جعلنا من خير أُمّة أُخرجت للناس، أُمّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وليس هذا فحسب، بل هدانا إلى حُبّه جل وعلا وحُبّ نبيه ﷺ وحُبّ أصحابه الكرام من بعده، واتباعهم اعتقادًا وعملًا، لتمسكهم بهدي وسُنّة نبيهم ﷺ.

– فالله سبحانه وتعالى قد وصف نفسه بعظيم وجميل الصفات، وسمّى نفسه بأحسن الأسماء، فله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى.

–فالله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم، حيث كتب على نفسه الرحمة، وأن رحمته تبارك وتعالى سبقت غضبه.

– وهو سبحانه وتعالى الحق، فلا يظلم أحدًا أبدًا وإن كان مثقال ذرّة أو أصغر من ذلك؛ فالله سبحانه وتعالى هو الحق ووعده حق.

– وهو سبحانه وتعالى الغفور، الودود، الكريم، المحسن، .... إلى غير ذلك من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى التي قد اختص بها سبحانه وتعالى نفسه، لمن آمن به ووحده وأطاعه، وامتثل أوامره، مجتنبًا نواهيه.





- ومن كمال حكمته، أنه سبحانه وتعالى هو الجبّار القهار .... إلى غير ذلك من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى التي قد اختص بها سبحانه وتعالى نفسه لمن أعرض عنه ولم يؤمن به، ولمن أشرك به، ولمن يعصيه ويحيد عن طاعته والامتثال لأوامره.

- وهو سبحانه وتعالى الواحد الأحد، العظيم ، القدير، العليم، الحكيم، المجيد، ... إلى غير ذلك من صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى التي تدل على عظمته المطلقة سبحانه وتعالى.

لذلك: فإنه يتوجب علينا مَحبّة الله تعالى وتنزيهه وتمجيده وتعظيمه، فلا نُحبّ أحدًا ولا شيئًا إلا له سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته، ولا نكره ولا نبغض أحدًا ولا شيئًا إلا له سبحانه وتعالى خشية عقابه وأليم عذابه، فلا نُحبّ إلا ما يحبه الله تبارك وتعالى، ولا نكره إلا ما يكرهه سبحانه وتعالى.

وكذلك أيضًا: محبة النبي محمد ﷺ أكثر من أنفسنا التي بين جنبينا، حيث:

أ- إن النبي محمد ﷺ هو أحب الخلق إلى الله تعالى، فكان خير نموذج يُقتدى به في تعبده لربه تبارك وتعالى.

لذلك، فإنه يجب علينا محبة النبي محمد ﷺ أكثر من أنفسنا التي بين جنبينا؛ لأنه أحب الخلق إلى الله تعالى؛ حيث إن من محبة الله عز وجل محبة خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ.

ب- إن النبي محمد ﷺ قد جعله الله تبارك وتعالى سببًا في هدايتنا وهداية العباد إلى الحق المبين، إلى ما يرتضيه سبحانه وتعالى، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشرك إلى نور الإيمان والتوحيد.

ج- إن النبي محمد ﷺ يحب أُمَّته، ويشتاق إلى مَن لم يَرَهُ منها -من أمته ﷺ-.

ليس هذا فحسب، بل يخاف ويخشى عليها أشد ما يكون الخوف والخشية، فلم يدع سبيلا للخير يقربنا من الله عز وجل ومن رحمته ومغفرته إلا وأمرنا به وحثنا عليه، ولم يدع سبيلا للشر يبعدنا عن الله تعالى وعن رحمته ومغفرته إلا ونهانا عنه، ونفَّرنا منه.

ولم يتعجل بدعوته على قومه حين كذبوه، بل ادخرها إلى يوم القيامة (يوم الحساب) للشفاعة في أمته ﷺ.

٢ — تعظيم الله سبحانه وتعالى:





حيث يجب علينا تعظيم الله تعالى في قلوبنا، ومن ثم تعظيم حُرُماته وتعظيم شعائره، ومن ثم تقوى الله سبحانه وتعالى في السرّ والعلن، وطاعته والامتثال لأوامره، والاجتناب لنواهيه، فقد قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠].

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

٣ – نُصْرة الله عز وجل، ونصرة دينه:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

لقد مَنَّ الله تبارك وتعالى علينا بأن جعلنا مِمن آمنوا به وبوحدانيته، وبأنبيائه ورسله، ومن ثمَّ فإنه يستلزم علينا أن ننصر الله عز وجل بأن:

أ – نُحكِّم كتابه (القرآن الكريم) ونلتزم شريعته ونقتدي بسُنة نبيه ﷺ.

ب – الامتثال لأوامره جل وعلا، والاجتناب لنواهيه.

جـ – حفظ حدوده جل وعلا ورعاية عهوده.

د – نصر عباده الموحدين المؤمنين في كل مكان على أعدائهم، أعداء الدين، غير آخذين في الحُسبان لمثل تلك القوميات الجاهلية والحدود الجغرافية المصطنعة، فلا فرق بين مُسلم عربي ومسلم غير عربي، فالكل سواء في الإسلام.

هـ – نصر عباده الموحدين المؤمنين بنصحهم، والإصلاح بينهم.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠].

وإلى غير ذلك من وسائل نصرة الله عز وجل.

ويستلزم علينا أيضًا: أن ننصر دين الله عز وجل بأن:

أ – نستمسك به، وأن ندعوا إليه بشتى أساليب الدعوة التي قد أتيحت في هذا العصر:





– من طباعة لكتب الدعوة والشريعة الإسلامية والسيرة والسُنّة النبوية بمختلف اللغات، العربية والأجنبية وتوزيعها على مراكز الاستشراق، والمكتبات العامة والجامعية حول العالم.

– إنشاء مواقع على الإنترنت متخصصة في الدعوة الإسلامية باللغات المختلفة وبالأخص اللغة الإنجليزية.

– إنشاء قنوات فضائية وإذاعات ومجلات تتحدث عن الإسلام وتدعوا إليه باللغات المختلفة وبالأخص اللغة الإنجليزية.

ب – نرفع لواء العلم النافع شعارًا لنا، وأن نسعى جادّين في نشر ورفع مستوى العلم الديني لدى أفراد الأمة الإسلامية وغيرها بكافة صوره، من عقيدة وتفسير، وفقه، وسيره، وتاريخ إسلامي.

وأن نتصدّى للإعلام الغربي والصهيوني المضاد، والردّ على ما يُثيرونه من أباطيل.

وأن نتصدى لمثل تلك المواقع المصمّمة من أعداء الإسلام على شبكات الإنترنت، والتي تنسب وتلصق نفسها بالإسلام لمهاجمته، وأن نقوم بتوعية المسلمين وغيرهم بها.

جـ – ننتهج نهج سلفنا الصالح، وأن نسلك طريقهم، فهو الطريق الذي سلكه رسولنا محمد ﷺ وصحابته الكرام، وأن نجتنب تلك الفرق والطرق الضّالة والمضلّة، المحدَثة، والمبتدعة، والتي تظهر وتتجدّد كل يوم.

د – أن نعرف لعلماء الدين المعتمدين –المجمع عليهم، والموثوق بهم– قدرهم وعظم شأنهم، وأن ندافع عنهم وننتصر لهم.

هـ – ندافع عن هذا الدين العظيم – الإسلام – بكل ما هو ثمين من نفس ومال وجهد ... إلى غير ذلك.

و – نحمد الله تبارك وتعالى ليل نهار على نعمه العظيمة التي امتنّ علينا بها، وأن جعلنا موحدين، مسلمين، مؤمنين ندين بخير دين، ألا وهو الإسلام، الذي جاء به خاتم الأنبياء محمد ﷺ، فالحمد لله على نعمة الإسلام، والحمد لله على نعمة الإيمان.





وصل اللهم وسلم وبارك على رسولنا الأمين، خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، وآته الوسيلة والفضيلة وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته.

وصل اللهم وسلم وبارك على آله وأصحابه الأخيار الأطهار وعلى من اهتدى بهديه واقتفى أثره واستن بسنته إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين





الفهرس

